روايات عالمية للجيب 65

أليس في بلادِ العجائب

تأليف : لويس كارول
ترجمة وإعداد : د . أحمد خالد توفيق



قلعة الأسرار

المؤلف



قصة أطفال ؟ نعم .. لكنها كذلك علم ساحر ملىء بالخيال الخصب .. أعتقد أن التفكير الجامد الذى يقول إن أدب الأطفال لايناسب الكبار ، قد انقضى عهده .. دعنا لاننس أن أدباء فائقى الشهرة كتبوا أدب الأطفال ، وفى كل مرة نكتشف أن الخط الفاصل بين الشعر وأدب الأطفال باهت جدًا أو لا وجود له .. ومن الطريف أن هذه القصة بالذات حظيت بدراسة مدققة من رائد علم النفس (فرويد) باعتبارها دراسة فريدة فى عالم الحلم والرغبات المكبوتة ..

أحيانًا ما تترك موهبة بعض الكتاب لمسة لا تُمحى على الأدب العالمى ، وربما على الوجدان الشعبى ذاته .. بالنسبة لأديب اليوم (لويس كارول Lewis Carroll) ، يظل الوجدان الغربى يحمل صورة الرجل البيضة الجالس على الجدار ، والزجاجة التى

كُتب عليها (اشربينى) ، وحتى بالنسبة لقارئ العربية تظل فكرة اجتياز سطح المرآة لدخول عالم الأحلام باقية للأبد .. مفهوم العالم كحلم الذى يعتبرونه من ابتكار (هاينلاين) حيث عالمنا مجرد حلم يحلم به مؤلف فى مجرة أخرى موجود هنا بوضوح : (هل أنا جزء من حلم ملك الأحمر ، أم هو جزء من حلمى ؟) .. ملف الكمبيوتر الذى يحمل اسم (افرعونى) ، وبطل فيلم (ماتريكس) الذى طُلب منه أن (يتبع الأرنب الأبيض) ، هذه مجرد نماذج لمدى تغلغل هذه القصة فى عقول الفنانين ...

كان (لويس كارول) الذى ولد عام 1832م محاضر رياضيات فى أكسفورد ، لكن اسمه لم يكن (لويس كارول) بل كان (المبجل لوتويدج دودجسون) .. وُلِدَ ليكون الطفل الثالث فى أسرة تتكون من أحد عشر طفلاً .. عانَى اللَّعْثَمَة التى جعلت منه مثارًا للسخرية .. هذه اللعثمة كانت تجعله ينطق اسمه (دودجسون) هكذا : دو .. دو .. دو .. دودجسون ..

هكذا .. كان الاسم السرى له بين زملائه هو (دودو) .. وقد استعمل هو ذات الاسم فى قصة (أليس) بعد ذلك ..

كان مولعًا بالتحدى من صغره .. قيل له إنه من العسير على طفل أن يتعلم اللوغاريتمات ، وهكذا قرر أن يدرس هذا العلم ، وكان اهتمامه بالرياضيات واضحًا .. هكذا .. دخل أكسفورد عام 1850 م

ليبقى فيها الخمسين عامًا الباقية له حتى وفاته عام 1898م .. وقد كان مرشحًا لمنصب قس فى المدرسة الدينية ، لكنه تخلى عن هذا المنصب لأسباب مجهولة ...

عام 1865م كتب قصة (أليس فى بلاد العجائب) ، التى تحكى عن (أليس) التى دخلت جحر الأرنب بحثًا عن الأرنب الأبيض الذى تأخر عن حفل الشاى .. القصة كتبها خصيصًا لصديقته الصغيرة (أليس ليدل) ابنة عميد الكلية ، والتى كرّس حياته لإضحاكها والترفيه عنها .. وهى ـ أى القصة ـ تحوى لَعِبًا ذكيًا بالألفاظ وخيالاً لا حد له ..

القصة الشهيرة الأخرى له هى (عبر المرآة 1872م) ، حيث تجتاز (أليس) عالم المرآة إلى عالم آخر غريب له منظر زجاجى .. ثمة لعبة شطرنج غريبة فيها كل القطع قد دبت فيها الحياة .. وفى هذه القصة تقابل شخصيات مثل (هامتى دامتى) الرجل البيضة و(تويدل دى) و(تويدل دلم) .. انتقد النقاد عدم دقة لعبة الشطرنج كما وصفها (كارول) لكن كثيرين يرون فى هذا نوعًا من التزيد مع قصة تحطم كل قواعد الواقع أصلاً ..

أليس الحقيقية !!

سوف نقابل هاتين القصتين ملخصتين هنا ، بما أنهما تنتميان لذات العالم وذات المؤلف ..

رسم (كارول) بنفسه لوحات قصة (أليس فى بلاد العجائب) فى المخطوطات الأولى ، وإن تولى سير (جون تنيل) الرسم بعد هذا ، وقد انتُقِدَتْ لوحات هذا الأخير باعتبارها متقنة لكنها مخيفة للأطفال ..

كتب (كارول) بعض القصائد وبعض القصص محدودة النجاح ، كما كتب بعض الكتب فى علم الرياضيات ، أشهرها (إقليدس ومعارضوه المعاصرون) 1879م ..

كان مهتمًا بالرسم وتصوير الأطفال ، وإن كان هناك من اتهمه ببعض الميول غير الأخلاقية فى هذا الصدد ، وهى تلميحات لم تصل إلى أن تكون اتهامات .. فقط نحن متأكدون من أنه كان ـ وهو فى الثلاثين من العمر ـ يحب الطفلة (أليس) بشدة ، وكان يلوم نفسه فى مذكراته على هذا الحب ، كما كان يدعو الله أن يخلصه من هذا الداء .. إن مذكرات الرجل غامضة وبها صفحات كثيرة منزوعة ، خاصة وأن أبا (أليس) أحرق كل خطابات (كارول) لابنته .. وقد انفصل (كارول) عن تلك الأسرة التى كرس لها حياته .. لا يعرف أحد السبب ، وقيل إنه بسبب الشائعات

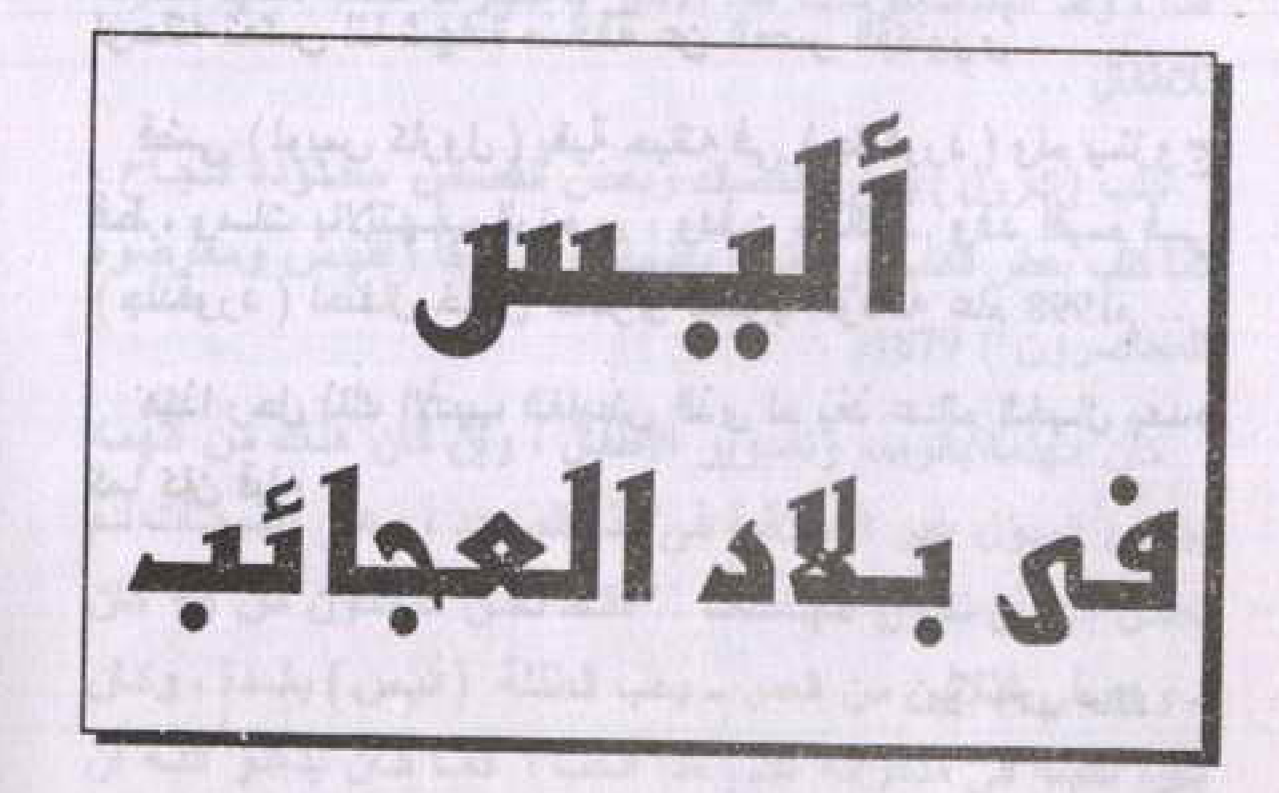
التى اجتاحت الأوساط الأكسفوردية ، أو لأنه تقدم للطفلة طالبًا يدها وهى فى الحادية عشرة من عمرها ، فرفض أبوها ذلك ..

إن عمل (كارول) كمصور فوتوغرافى شديد الأهمية كذلك ، وهو من رواد فن التصوير الفوتوغرافى المعاصر ، كما أن لوحاته تعكس لنا شهادة صادقة عن العصر الفِكْتورِىّ ..

قضى (لويس كارول) بقية حياته فى (جلدفورد) ولم يتزوج قط ، ومات بالالتهاب الرئوى ، ودفن هناك .. وقد أقيم فى (جلدفورد) احتفال خاص للذكرى المئوية لوفاته عام 1998م ..

هكذا رحل ذلك الأديب الغامض الذى لم يَعُدْ عالم الخيال بعده كما كان قبله .

د. احمد خالد



الفصل الأول

فى جحر الأرنب

بدأت (أليس) تشعر بالسأم من جلوسها جوار أختها على ضفة النهر بلا شىء تعمله.. كانت أختها تطالع كتابًا ليست فيه صور ولا محادثات ..

تساءلت (أليس) : « ما نَفْعُ كتاب بلا صور ولا محادثات ؟! »

كان القيظ قد جعلها تشعر بالنعاس ، وراحت تتساءل عما إذا كان عمل إكليل من أزهار الأقحوان يستأهل عناء النهوض وجمع الأقحوان ..

فجأة ركض أرنب أبيض له عينان ورديتان جوارها ..

لم يكن هناك شىء غريب فى هذا ، حتى حين سمعت الأرنب يقول لنفسه :

ـ « رباه ! رباه ! لقد تأخرت ! »

حينما فكرت فى الأمر بعد هذا شعرت بأنه كان عليها أن تندهش من هذا ، لكن فى وقتها بدا لها الأمر طبيعيًا جدًا .. لكن حينما أخرج الأرنب ساعة من جيب معطفه ونظر لها ، نهضت على قدميها ؛ فقد أدركت أن هذه أول مرة ترى فيها أرنبًا يحمل ساعة ..

كان الفضول يحرقها وهى تركض فى الحقل خلفه .. ورأته يدخل جحر أرنب تحت سياج الأشجار ..

سرعان ما هبطت(أليس) خلفه ، ولم تفكر لحظة واحدة فى الطريقة التى ستخرج بها ثانية ..

كان هناك نفق لمسافة ما ، ثم انحدر لأسفل فجأة .. فجأة لدرجة أن (أليس) لم تجد الوقت الكافى لتتوقف قبل أن تنزلق إلى بئر عميقة للغاية ..

إما أن البئر كانت عميقة جدًا ، أو هى هبطت ببطء شديد ، لأنها وجدت ما يكفى من الوقت أثناء الهبوط لتنظر حولها وتتساءل عما سيحدث .. فى البدء نظرت لأسفل محاولة معرفة ما ينتظرها لكن الظلام كان دامسًا .. نظرت إلى الجدران حولها فوجدت أنها مليئة بخزانات الكتب .. كانت ترى خرائط معلقة بمشابك ورق ..

التقطت برطمانًا قابلها أثناء الهبوط كتب عليه (مُربّى برتقال) ، لكنه كان فارغًا لخيبة أملها .. لم تلق به لأنها خشيت أن يقتل أحدهم .. وضعته على أحد الأرفف وهى تهبط ..

قالت لنفسها :

ـ « حسن .. بعد سقطة كهذه لن أقلق بصدد التعثر فوق الدَّرَج ! لَكَمْ سيعتبروننى شجاعة فى البيت ! لن أهتم حتى لو سقطت من على سطح البيت » (وكان هذا احتمالاً واردًا بشدة) ..

تحت .. تحت .. تحت ..

ألن تنتهى هذه السقطة أبدًا ؟

وسألت نفسها بصوت عال :

ـ « أتساءل عن عدد الأميال التى سقطتها حتى هذه اللحظة .. لابد أننى اقتربت من مركز الأرض .. أعتقد أننى سقطت 4000 ميل .. »

كانت (أليس) قد تعلمت أشياء كثيرة من هذا القبيل فى الصف .. وبرغم أن الوقت لم يكن مناسبًا لاستعراض معلوماتها ، لأنه لم يكن من أحد يصغى لها ، فقد كان ذكر المعلومة ممتعًا ..

ـ « نعم ، لابد أن هذه هى المسافة .. لكن على أى خط عرض وأى خط طول أنا ؟ »

لم تكن تعرف معنى خط الطول ولا خط العرض ، لكن هذه الأشياء بدت جيدة عند التلَفُّظ بها ..

ـ « ترى .. هل سأخترق الأرض ؟ كم سيكون جميلاً ومضحكًا أن أخرج بين الناس الذين يمشون على رءوسهم فى الجهة الأخرى ! النقائض .. سيكون على أن أسألهم عن اسم ذلك البلد .. من فضلك ياسيدتى هل هذه نيوزيلندا أو أستراليا ؟ سأثنى ركبتى فى رشاقة .. تصورى أن أثنى ركبتى محيية وأنا أطير فى

الهواء ! لكم ستعتبرنى فتاة جاهلة بسبب هذا السؤال ! لا .. لا داعى للسؤال .. لربما رأيت اسم البلد مكتوبًا فى مكان ما ..»

تحت .. تحت .. لا شىء آخر يمكن عمله .. لهذا عادت تكلم نفسها :

ـ « دينا سوف تفتقدنى كثيرًا هذا المساء (دينا هى القطة) .. أرجو أن يتذكروا وضع طبق اللبن أمامها فى وقت تناول الشاى .. دينا يا عزيزتى ! لكم أتمنى لو كنت معى هنا .. لا توجد فئران فى الهواء ، لكن ربما اصطدت وطواطًا .. وهو يشبه الفأر كما تعلمين ، لكن هل تأكل القطط الوطاويط ؟ »

بدأت (أليس) تشعر بالنعاس وراحت تقول لنفسها حالمة :

ـ « هل تأكل القطط الوطاويط ؟هل تأكل الوطاويط القطط ؟ »[*]

لأن السؤال كان غير قابل للإجابة ؛ فقد طرحته كيفما اتفق ..

غلبها النعاس فراحت تحلم بأنها تمشى ويدها فى يد دينا .. تقول لها فى إخلاص :

ـ « الآن يا دينا قولى لى الحقيقة .. هل أكلت وطواطًا من قبل ؟ »

(★) Do cats eat bats وهى من الألعاب اللفظية التى يمتلئ بها أدب لويس كارول .. للأسف تفسد الترجمة الجرس اللفظى لهذه العبارات ..

وفجأة .. بوم .. بوم .. سقطت فوق كومة من الغصون والأوراق الجافة وانتهت سقطتها ..

لم تتأذ (أليس) وقد وثبت على قدميها على الفور .. نظرت لأعلى لكن الظلام كان دامسًا .. أمامها كان ممر آخر وكان بوسعها أن ترى الأرنب الأبيض .. لم يكن هناك وقت تضيعه .. لحقت به وهى تسمعه يقول دائرًا حول منحنى :

ـ « بحق أذنى وشواربى .. لكم تأخرت !! »

كانت قريبة جدًا منه ، لكنها إذ دارت حول المنحنى لم تر له أثرًا .. وجدت نفسها فى ممر به مصابيح تتدلى من السقف .. هناك أبواب على طول الممر لكنها جميعًا مُوصَدَة .. مشت (أليس) قلقة تفكر فى الطريقة التى ستخرج بها ثانية ...

فجأة رأت منضدة ذات ثلاث أرجل كلها من الزجاج .. لم يكن عليها شىء سوى مفتاح ذهبى صغير ، وقد خطر لها أنه يفتح أحد الأبواب .. لكن للأسف ! إما أن المفتاح كان صغيرًا جدًا أو الأقفال كانت كبيرة جدًا ..

لكنها وجدت ستارًا لم تلحظه من قبل ، وخلفه كان باب صغير ارتفاعه نحو خمس عشرة بوصة[*] .. حاولت أن تولج فيه المفتاح ، ولدهشتها أفلحت فى ذلك .

(★) حوالى 38 سنتيمترًا .

فتحت الباب فوجدت أنه يقود لممر صغير لا يفوق حجر الأرنب حجمًا .. ركعت ونظرت عبر الممر لترى أجمل حديقة رأتها فى حياتها .. تمنت أن تخرج من هذا المكان المظلم لتمشى بين أحواض الأزهار لكنها لم تستطع مجرد حشر رأسها عبر الباب ..

قالت لنفسها :

ـ « وحتى إذا عبر رأسى فلا قيمة له من دون كتفى .. فقط لو استطعت أن أمط عنقى كالتلسكوب .. »

كما ترى كانت هناك أشياء عجيبة كثيرة قد حدثت ، لذا لم تعُدْ تتوقع أن المستحيلات محدودة جدًا ..

لم تعد هناك جدوى من الانتظار ، لذا عادت إلى المنضدة وهى تأمل لو وجدت مفتاحًا آخر .. أو كتابًا يشرح طريقة التقلص ..

هنا وجدت زجاجة صغيرة على المنضدة (بالتأكيد لم تكن موجودة من قبل) ، وعلى عنق الزجاجة كانت ورقة كتب عليها (اشربينى) بخط جميل وحروف كبيرة ..

كان من اللطيف أن ينصحها بالشرب ، لكن (أليس) الصغيرة الحكيمة رأت ألا تتعجل .. قررت أن تتفحص الزجاجة لترى إن كان مكتوبًا عليها (سم) أم ماذا ..

كانت قد قرأت الكثير من القصص عن أطفال احترقوا أو التهمتهم الوحوش لأنهم نسوا القواعد البسيطة التى يقدمها لهم أصدقاؤهم .. مثلاً مِحْرَاك النار الساخن المحمر سوف يحرقك لو أمسكت به فترة أطول من اللازم .. لو قطعت يدك بالسكين فإنها تنزف .. لو شربتِ من زجاجة كتب عليها (سم) فلسوف تجلب لك المتاعب عاجلاً أم آجلاً ..

لكن هذه الزجاجة لم يكتب عليها (سم) لذا قررت أن تتذوقها .. وجدتها طيبة المذاق .. (فى الواقع كان لها مذاق خليط من كعكة الكرز والكستارد والأناناس والخبز الساخن بالزبد والطوفى)... وسرعان ما انتهت منها ..

* * * *

* * * *

* * * *

* * *

* * * *

* * *

قالت لنفسها :

ـ « يا له من شعور غريب ! لابد أننى أنكمش مثل التلسكوب ! »

وهذا ما كان ...

لقد صار طولها عشر بوصات .. وراقت لها فكرة أنها ستجتاز ذلك الباب إلى الحديقة الغَنّاء .. لكنها توقفت لترى إن كانت ستنكمش أكثر .. كانت عصبية بهذا الصدد ..

ـ « سوف أتلاشى مثل الشمعة .. أعرف هذا .. »

وراحت تتخيل كيف يبدو لهب الشمعة بعد ما تنطفئ هذه ..

بعد قليل وجدت أنه لم يحدث شيء جديد .. قررت أن تدخل الحديقة حالاً .. لكن للأسف ! حينما وصلت إلى الباب تذكرت أنها نسيت المفتاح الذهبى الصغير .. عادت للمنضدة فوجدت أنها غير قادرة على الوصول إلى المفتاح .. كان بوسعها أن تراه من خلال الزجاج ، وقد حاولت جهدها أن تتسلق أرجل المنضدة لكنها كانت زلقة جداً ..

أرهقت نفسها بمحاولة التسلق ، وفى النهاية جلست على الأرض وبكت ..

قالت لنفسها :

ـ « هلمى .. لا جدوى من البكاء بهذا الشكل .. أنصحك بأن تنطلقى الآن .. حالاً .. »

كانت تجيد النصح لنفسها (برغم أنها لم تنفذ تلك النصائح إلا فيما ندر) .. أحياناً كانت توبخ نفسها إلى درجة البكاء ، وذات مرة أرادت أن تملص أذن نفسها لأنها غشت نفسها فى لعبة (كروكت) لعبتها مع نفسها .. هذه الطفلة الغريبة كانت مولعة بأن تصير شخصين ..

ـ « لكن لا جدوى هذه المرة من محاولة أن أصير اثنتين .. لم يعد منى ما يكفى لصنع شخص واحد محترم ! »

هنا وقعت عيناها على صندوق زجاجى تحت المنضدة .. فتحته فوجدت كعكة صغيرة عليها كتابة بالمربى تقول (كلينى) ..

قالت (أليس) لنفسها :

ـ « حسن .. سآكلها .. سوف أكبر وبهذا أبلغ المفتاح ، أو أصغر فأزحف تحت الباب .. فى الحالتين سوف أصل إلى الحديقة ، ولا يهم ما يحدث بعد هذا .. »

أكلت قطعة صغيرة ، وفى لهفة سألت نفسها :

ـ « أى الطريقين ؟ أى الطريقين ؟ »

ووضعت يدها على رأسها ، لكن لدهشتها ظلت بذات الحجم .. هذا يحدث دائماً مع من يأكل الكعك ، لكن (أليس) كانت قد اعتادت غرائب الأمور ، حتى بدا لها أنه من الملل والغباء أن تبقى الأمور كما اعتادتها ..

لذا واصلت العمل بهمة وأنهت الكعكة ..

* * * *
* * *
* * * *
* *
* * * *
* * *

الفصل الثانى
بركـة الدمـوع

صاحت (أليس) :

ـ « عجيب وعجائبى ! (كانت مندهشة فى هذه اللحظة لذا نسيت كيف تتكلم إنجليزية جيدة) .. الآن أنا أتمدد كأكبر تلسكوب عرفته فى حياتى ! وداعًا يا قدمىَّ ! (لأنها كانت تنظر إلى قدميها اللتين تبتعدان حتى تُوشِكَا على الاختفاء عن مجال البصر) .. يا قدمى العزيزتين ! أتساءل عمن سيضع الحذاء والجوربين حولكما .. لن أستطيع أنا هذا .. سأكون بعيدة عنكما ولسوف يكون عليكما أن تتدبرا أمركما .. »

ثم فكرت فى أنها يجب أن تكون مهذبة معهما وإلا لن تحملاها فى الرحلة التى تريدها ..

ـ « سوف أمنحكما حذاء جديدًا فى كل كريسماس .. »

كم سيكون من المضحك أن يبعث المرء هدايا لقدميه ! سوف ترسل الهدايا مع ساعٍ يحمل العنوان ..

إلى السيدة / قدم (أليس) اليمنى ..
جوار سجادة المدفأة ..
قرب حاجز المدفأة ..
مع تحيات (أليس) ..

رباه ! يا لسخف هذا الذى أقوله !

هنا اصطدم رأسها بسقف القاعة .. لقد صار طولها يفوق التسعين قدمًا .. هكذا التقطت المفتاح الذهبى الصغير وهرعت إلى باب الحديقة ..

مسكينة يا (أليس) ! لم يعد بوسعها سوى أن تنام على جانبها وتنظر إلى الحديقة ، أما دخولهافقد صار مستحيلاً تمامًا .. جلست على الأرض وعاودت البكاء ..

قالت لنفسها :

ـ « يجب أن تخجلى .. فتاة عظيمة مثلك تبكى هكذا ؟ آمرك بالتوقف ! »

لكنها استمرت فى البكاء حتى تكونت بركة من الدمع حولها عمقها أربع بوصات ..

بعد قليل سمعت صوت خطوات .. جففت عينيها لترى ما هو آت ..

كان هذا هو الأرنب الأبيض متأنقًا بشدة وفى إحدى يديه قفازان مما يلبس الأطفال ، ومروحة كبيرة فى اليد الأخرى .. جاء يركض وهو يغمغم لنفسه ..

ـ « آه .. الدوقة .. الدوقة ! سيكون من الفظاظة أن أتركها تنتظر ! »

كانت تشعر بالقنوط وكانت مستعدة لطلب العون من أى شخص .. لذا قالت للأرنب إذ اقترب منها :

ـ « هلا تفضلت يا سيدى ؟ »

نظر لها الأرنب فى حدة وسقط القفازان منه واندفع يتوارى فى الظلام بأسرع ما يستطيع ..

التقطت (أليس) القفاز والمروحة ، ولما كان الطقس حارًا فإنها راحت تهوى على وجهها وهى تتكلم :

ـ « رباه ! كل شىء غريب اليوم .. أتساءل إن كنت قد تغيرت خلال الليل .. هل كنت أنا هى أنا عندما صحوت اليوم ؟ أذكر أننى كنت أشعر باختلاف .. السؤال الأهم هو : من أنا ؟ هذا لغز كبير .. »

وراحت تتذكر الأطفال الذين عرفتهم لتعرف إن كانت تشبه أحدهم :

ـ « حتمًا أنا لست (أدا) .. لأن شعرها يلتف فى حلقات ذهبية ، بينما لا يفعل شعرى هذا .. لست (ميبل) لأننى أعرف الكثير ، بينما هى لا تعرف إلا أقل القليل .. كما أنها (هى) بينما أنا (أنا) .. رباه ! فلأرَ إن كنت ما زلت أعرف كل ما أعرفه .. 4 X 5 = 12 .. و4 x 6 = 60 .. على كل حال جدول الضرب لا يدل على شىء .. لنجرب الجغرافيا .. لندن عاصمة باريس .. وباريس عاصمة روما .. لا .. كل هذا خطأ .. أنا متأكدة من ذلك . لابد أننى تحولت إلى (ميبل) ! »

راحت تحاول أن تتلو مقطعًا تحفظه من الشعر . لكن بلاجدوى ..

ـ « ليست هذه هى الكلمات .. لابد أننى صرت (ميبل) فعلاً .. »

وامتلأت عيناها بالدموع ..

ـ « لابد أننى (ميبل) وسوف أقضى حياتى فى ذلك البيت الضيق غير المريح .. لن تكون لدى ألعاب ألهو بها .. لقد اتخذت قرارى .. لو كنت أنا (ميبل) فلسوف أبقى فى هذا الجحر .. لن أهتم بأن يُدخِلوا رءوسهم قائلين لى : اخرجى يا عزيزتى .. سوف أُخرِج رأسى وأقول : قولوا لى من أنا أولاً .. لو راق لى فلسوف أخرج وإلا بقيت حيث أنا .. لكنى أتمنى لو ينظرون لى .. لقد تعبت من البقاء وحدى هنا ! »

وكانت تنظر ليديها ، وأدهشها أنها ارتدت أحد قفازى الأرنب الأبيض وهى تتكلم ..

ـ « يبدو أننى أصغر أكثر .. »

اتجهت إلى المنضدة لتعيد قياس طولها فوجدت أن ارتفاعها قدمان .. وسرعان ما أدركت أن سبب هذا هو المروحة التى تحملها .. ألقت بها بسرعة لتتجنب المزيد من الانكماش ..

ـ « نجوت بصعوبة .. والآن إلى الحديقة !! »

هرعت للباب ، لكن يا للحسرة ! كان الباب موصدًا من جديد والمفتاح الصغير على المنضدة ..

انزلقت قدمها .. هنا .. سبلاش ! فى لحظة وجدت أنها غارقة حتى ذقنها فى ماء مالح ..

كان أول ما خطر لها هو أنها بشكل ما وقعت فى البحر ، وقررت أن تعود لبيتها بالقطار .. ولم تكن قد رأت البحر سوى مرة واحدة فى حياتها ، لذا افترضت أن أى بحر فى العالم لابد أن تكون جواره مبان وخلفها محطة سكك حديدية ..

ثم فهمت أنها كانت غارقة فى بركة الدموع التى بكتها عندما كانت عملاقة .. سبحت فى الدموع وهى تتمنى لو لم تكن قد بكت كل هذا ..

ـ « سوف أعاقب على كل هذا البكاء بأن أغرق فى دموعى .. سيكون هذا غريبًا .. لكن كل شىء غريب اليوم على كل حال .. »

هنا سمعت صوت شىء يسبح فى البركة ، فدنت منه محاولة فهم ما هو .. وقد افترضت أنه فرس نهر أو كلب بحر ثم تذكرت كم هى صغيرة ، فقررت أن هذا على الأرجح فأر انزلق فى البركة مثلها ..

هل تتكلم معه ؟ كل شىء غريب هنا فمن الوارد جدًا أن يكون الفأر يجيد الكلام ..

قالت :

ـ « وا فأراه .. وا فأراه ! هل تعرف سبيل الخروج من هنا ؟ »

لقد تصورت أن هذه هى الطريقة المثلى للكلام مع الفأر .. لأنها قرأت طريقة خطاب مماثلة فى كتب القواعد الخاصة بأخيها ..

نظر لها الفأر متفحصًا وبدا كأنه يغمز بعين واحدة ولم يقل شيئًا ..

ـ « ربما لا يفهم الإنجليزية .. أعتقد أنه فأر فرنسى جاء مع (ويليام الفاتح) ..

« Ou est ma chatte?(*) .. »

(★) أين قطتى ؟

وكانت هذه أول جملة فى كتاب تعليم الفرنسية الخاص بها ..

وثب الفأر من الماء وبدا أنه يرتجف رعبًا .. فهتفت(أليس) :

ـ « أنا آسفة .. »

وقد شعرت بأنها جرحت مشاعر الفأر المسكين .. لقد نسيت ان الفئران لا تحب القطط ..

قالت للفأر :

ـ « آسفة .. لكن لو أنك رأيت قطتى (دينا) لغيرت رأيك فى القطط .. إنها شىء عزيز جدًا .. تجلس وتقر جوار المدفأة .. تلعق مخالبها وتمسح وجهها وناعمة جدًا .. كما أنها تجيد صيد الفئران .. آسفة !! لن أتكلم عنها ثانية ما دامت تضايقك .. »

قال الفأر الذى كان يرتجف حتى ذيله :

ـ « أسرتى كلها تكره القطط .. مخلوقات قذرة سافلة سوقية ! لا أريد سماع اسمها ثانية ! »

ثم تركها وراح يسبح فى البركة مبتعدًا بينما راحت تناديه :

ـ « صديقى الفأر ! عد هنا .. لن نتكلم عن القطط ما دمت لا تحبها .. »

حينما سمع الفأر هذا عاد لها .. ولاحظت (أليس) أن وجهه شاحب . قال لها :

ـ « لنعد إلى الشط وهناك سأحكى لك قصتى وهناك تعرفين لماذا أكره القطط والكلاب .. »

كانت البركة قد صارت مزدحمة بكل الطيور والحيوانات التى سقطت فيها .. تقدمت (أليس) الطريق وسرعان ما سبح الجميع نحو الشاطئ ..

الفصل الثالث

سباق جماعى وقصة طويلة

مجموعة غريبة فعلاً تلك التى اجتمعت على الشط .. الطيور بريشها الموحل ، والحيوانات بفرائها الذى التصق بها .. والجميع مبتل لا يشعر براحة ..

كان السؤال الأول بالطبع هو : كيف نَجِفُ من جديد ؟.. تشاوروا فيما بينهم ، وقد تشاورت معهم (أليس) كأنها تعرفهم منذ زمن بعيد .. تجادلت مع الببغاء الـ (لورى) الذى بدا عليه الضيق وقال :

ـ « أنا أكبر منك ، فلابد أننى أعرف أفضل .. »

هنا قال الفأر الذى كانت سلطته واضحة :

ـ « إجلسوا جميعًا وأصغوا لى .. سوف أجففكم حالاً .. »

التفوا حوله فى دائرة .. وراحت (أليس) تراقب ما سيقول فى لهفة ؛ لأنها كانت واثقة من إصابتها بالبرد لو لم تجف حالاً ..

ـ « من فضلكم ... ما سأقوله هو أكثر شىء جاف أعرفه .. (ويليام الفاتح) الذى كان البابا يفضله كان قد اعتاد اغتصاب العروش والغزو ، وكان الإنجليز بحاجة إلى قائد .. هنا كان (موركار) و (إدوين) إيرلا (مرشيا) و (نورتومبرى) قد أوضحا له .. وكذلك (ستيجاند) كبير الأساقفة الوطنى فى (كانتربرى) وجد أنه من المفيد أن .. »

سألته البطة :

ـ « وجد ماذا ؟ »

قال الفأر :

ـ « وجد (أنه) ... طبعًا أنت تعرفين ما المقصود بالضمير فى (أنه) .. »

ـ « أعرف هذا الضمير .. أحيانًا أجد شيئًا مثل ضفدع أو دودة .. السؤال هو ما الذى وجده كبير الأساقفة ؟ »

لم يبال الفأر بالرد وواصل قصته الجافة :

ـ « وجد أنه من المفيد أن يجعل (إدجار أثلينج) يقابل (ويليام) ويمنحه التاج .. كانت استجابة (ويليام) فى البداية متوسطة .. لكن عجرفة النورمان .. » هنا استدار لأليس وسألها : « كيف حالك الآن يا عزيزتى ؟ »

قالت (أليس) :

- « مبتلة كما أنا .. هذا الكلام لا يجففنى على الإطلاق .. »

قال طائر الدودو(*) وهو ينهض :

- « فى هذه الحالة أرى تأجيل الجلسة من أجل تبنى علاجات أكثر فعالية .. »

قال فرخ العقاب :

- « تكلم الإنجليزية ! أنا لا أفهم معنى نصف ما تقول .. وأحسبك لا تفهم كذلك .. »

هنا ضحكت بعض الطيور بصوت مسموع ..

قال الدودو :

- « كنت سأقترح أن خير ما يجعلنا جافين هو سباق جماعى .. »

تساءلت(أليس) :

- « ما معنى السباق الجماعى ؟ »

- « أفضل طريقة لشرحه هو أن نقوم به .. »

ولما كان من الممكن أن تحتاج لممارسة هذا السباق فى صباح شتوى فإننى سأحكيه لك بالتفصيل ..

(*) طائر يوحى بالغباء ، ولكن الاسم كذلك تورية من (كارل) ليذكرنا بالاسم السرى الذى أطلقه التلاميذ عليه ..

فى البداية رسم (الدودو) مضمار سباق يشبه الدائرة ، ثم راح الموجودون يركضون بلا ترتيب معين ودون أن يعرف أحد متى ينتهى ..

فقط بعد نصف ساعة وبعد ما جف الجميع ، صاح طائر الدودو أن السباق انتهى ، فالتفوا حوله يتساءلون : من الفائز ؟

هذا السؤال لم يكن سهلاً ، لذا جلس الطائر يفكر بعض الوقت وقد وضع يده على ذقنه بالطريقة التى ترى بها شكسبير فى الصور .. فى النهاية قال :

- « الكل قد ربح ! الكل يجب أن يحصل على جوائز .. »

- « لكن من يعطى الجوائز ؟ »

اشار إلى (أليس) وقال :

- « من ؟ هى بالطبع ! »

هكذا التف الجميع حولها متصايحين :

- « جوائز ! جوائز ! »

لم تدر (أليس) ما تفعله ، فراحت تعبث فى جيبها حتى وجدت بعض الفواكه المسكرة لم يتلفها الملح ، فوزعتها كجوائز عليهم .. كانت تشعر بأن الأمر كله عجيب ، لكنهم كانوا جادين بحيث لم تجسُر على الضحك ..

قالت للفأر :

– « أنت وعدت بأن تحكى لى قصتك .. »

« هذا شىء طويل ومحزن[*] .. »

نظرت (أليس) إلى ذيل الفأر الذى كان بقربها وقالت :

– « بالفعل هو طويل .. لكن لا أفهم لماذا هو محزن .. »

وفى سرها راحت تردد أغنية وحى الخاطر تقول :

القط قابل الفار . جوه الدار ..

قال له تعال نروح للقاضى .. أصل أنا فاضى ..

قال له الفار : دى محكمة فعلاً هزلية ..

وقتنا ضايع مية المية ..

قال له القط : أنا راح اكون القاضى كمان .. »

ومؤكد حاديك إعدام .. »

هنا صاح الفأر :

– « أنت لا تستمعين ! »

ثم انصرف غاضبًا .. برغم أنها توسلت له كى يحكى قصته .. وتوسل له طائر اللورى كى يبقى .. قالت (أليس) :

(★) هنا لعب على تشابه لفظة Tale بمعنى (حكاية) و Tail بمعنى (ذيل) .. وهو تشابه يصعب نقله إلى العربية .

– « يا ليت قطتى دينا هنا! كانت ستعيده لنا ! لو رأيتموها وهى تصطاد الطيور الصغيرة ! يا لبراعتها ! »

سبب هذا الكلام توترًا بين الطيور الموجودة ، وفر بعضها بالفعل ..

قال أحد الغربان البقعاء :

– « يجب أن أعود لبيتى .. إن البرد يشتد وهذا قد يؤذى حنجرتى .. »

وسرعان ما ابتعد الجميع ووجدت (أليس) أنها وحدها ..

قالت لنفسها :

– « ليتنى لم أذكر دينا ... لا أحد يحبها هنا ، برغم أنها أروع هرة فى العالم ! يا عزيزتى ! هل أراك ثانية ؟! »

وعادت للبكاء من جديد لأنها شعرت بالوحدة وانخفاض المعنويات ..

هنا سمعت صوت خطوات ، فتمنت أن يكون هذا هو الفأر وقد غير رأيه ..

★ ★ ★

الفصل الرابع

الأرنب يرسل (بيل الصغير)

كان هذا هو الأرنب .. يتواثب عائدًا وهو ينظر حوله فى قلق ، كأنه أضاع شيئًا ..

وسمعته يقول :

ـ « الدوقة ! الدوقة ! يا فرائى وشواربى العزيزة ! سوف تعدمنى وأنا واثق من هذا كما أثق أن الشرائط الحريرية شرائط حريرية ! أين ترانى أضعتها ؟ »

خمنت (أليس) أنه يبحث عن المروحة والقفازين .. راحت تبحث عنهما فلم تجدهما . كل شىء لم يعد فى موضعه منذ وقعت وسبحت فى بركة الدموع ..

رآى (أليس) فأشار لها وقال :

ـ « هلمى يا (مارى آن) .. اجرى إلى البيت وأحضرى لى قفازين ومروحة .. »

كان غاضبًا لدرجة أن (أليس) اندفعت كما أمر ، دون أن تتوقف لتوضح له خطأه ..

وصلت إلى بيت صغير أنيق على بابه لوحة نحاسية تحمل اسم (الأرنب و) ... دخلت من دون أن تقرع الباب واندفعت للطابق العلوى خائفة من أن تلقى (مارى آن) الحقيقية .. كم هو غريب أن تقوم بمهمة يكلفها بها أرنب !

وجدت قفازين ومروحة لحسن حظها ، فَهَمَّتْ بالرحيل لولا أن رأت زجاجة صغيرة جوار المرآة ..لم تكن عليها ورقة لاصقة تقول (اشربينى) هذه المرة .. برغم هذا ، فَكَّت الغطاء ورفعتها لشفتيها :

ـ « أعرف أن شيئا مدهشًا سوف يحدث .. ربما تساعدنى على النمو من جديد لأننى سئمت هذا الحجم الصغير .. »

هذا ما حدث فعلاً .. قبل أن تفرغ من نصف الزجاجة كبر حجمها ، واضطرت لأن تحنى رأسها كى لا يتحطم إذ يضرب السقف ..

رفعت الزجاجة عن فمها وقالت :

ـ « هذا كافٍ .. ليتنى لم أشرب هذا كله .. لن أتمكن من الخروج من الباب .. »

للأسف ظلت تكبر وتكبر حتى اضطرت إلى أن تركع على ركبتيها .. حتى هذا الوضع لم يعد هناك فراغ يسمح به .. وبالتالى لم يعد هناك أمل فى أن تغادر الغرفة ثانية ..

ـ « كنت أكثر سعادة فى بيتى ، غير مضطرة لأن أكبر وأصغر طَوال الوقت ، بينما تصدر لى الفئران والأرانب الأوامر .. لكن ما يحدث لى يشبه القصص الخيالية .. لابد أن هناك قصة خيالية عنى بالذات ، وإن لم تكن ، سأكتبها عندما أكبر .. لكننى كبيرة بالفعل الآن ! »

هنا سمعت صوت خطوات قادمة .. جاء صوت الأرنب يصيح :

ـ « مارى آن .. مارى آن .. هاتى قفازىّ ! »

ارتجفت خوفًا فارتج البيت .. لقد نسيت أنها الآن أكبر من الأرنب ألف مرة ، ولم يعد من مبرر يدفعها للخوف منه ..

حاول الأرنب فتح الباب ، لكن مرفقها كان مستندًا إليه ؛ لذا لم يستطع فتحه ..

ثم جاء صوت الأرنب الغاضب يقول :

ـ « بات . بات .. أين أنت ؟ تعال وساعدنى .. »

جاء صوت لم تسمعه من قبل يقول :

ـ « أنا هنا ، سعادتك ، أحفر بحثًا عن التفاح .. »

ـ « كف عن الحفر وقل لى ما هذا الذى فى النافذة .. »

ـ « هذه ذراع ، سعادتك .. »

كان ينطق (ذراع) هكذا (ذرررررراع) ..

ـ « ذراع أيتها الإوزة ؟ هل رأيت من قبل ذراعا بهذا الحجم ؟ إنها تملأ النافذة .. »

ـ « لكنها برغم هذا ذراع ، سعادتك .. »

ـ « حسن .. لا لزوم لها فى النافذة .. إذهب وألق بها بعيدًا .. هَلُمَّ أيها الجبان .. »

ثم سمعت أصواتًا عدة .. إنهم يحملون سلمًا خشبيًا .. هناك من يدعى (بيل الصغير) ويتلقى أوامر الأرنب .. يبدو أن (بيل) هذا هو المكلف بأن يتسلق ويهبط من مدخنة المدفأة ..

سمعت حيوانًا صغيرًا يخدش فى المدخنة .. كان المكان ضيقًا لكنها عرفت أن هذا هو (بيل) بالتأكيد ، وعرفت أنها يمكن أن تركله ركلة صغيرة باتجاه المدفأة ..

هنا سمعت صياحًا وسمعت الأرنب يقول :

ـ « هو ذا بيل يطير .. أنت عند السور .. امسكه ! اهدأ يا بنى .. بيل .. كيف كانت الأمور ؟ »

جاء صوت (بيل) الرفيع يقول :

ـ « شكرًا لكم .. لا .. لا استطيع أن أحكى ما رأيته .. شىء وثب فى وجهى فطِرتُ فى الهواء .. »

صاح الأرنب :

ـ « علينا أن نحرق البيت بما فيه ! »

هنا صاحت (أليس) :

ـ « لو فعلت فلسوف أطلق (دينا) عليكم ! »

ساد صمت ثقيل .. وفكرت (أليس) فيما عساهم ينوون عمله .. لو كان عندهم عقل لرفعوا السقف من فوقها .. هنا وجدت أن الحجارة تُقذف عليها من الخارج .. يبدو أنهم يحاولون حفر نفق .. وجدت أن الحجارة تتحول إلى كعك على الأرض ، فقررت أن تلتهم بعضه .. هى لن تكبر أكثر فلربما تصغر ..

بالفعل حدث ما توقعت .. راحت تصغر وتصغر ..

ما إن صارت قادرة على الخروج من الباب حتى اندفعت هاربة ..

وجدت نفسها وسط مجموعة من الحيوانات الصغيرة ، وسطها كانت سحلية صغيرة مسكينة هى (بيل) .. اندفع الجميع نحوها إذ خرجت من البيت ، لكنها سبقتهم وسرعان ما وجدت نفسها آمنة فى الغابة ..

شبت على أطراف أصابعها تنظر فوق مستوى بعض الفِطْر النامى ، فالتقت عيناها بعينى يرقة كبيرة تجلس فوقها وقد ثنت ذراعيها وهى تدخن نارجيلة طويلة ولا تبدى أية علامة على أنها تلاحظها ..

الفصل الخامس

نصيحة من يرقة

راحت (أليس) واليرقة تتبادلان النظرات لبعض الوقت ، ثم نزعت اليرقة النارجيلة عن فمها وسألت :

ـ « من أنت ؟ »

لم تكن هذه بداية مشجعة للحوار ، فقالت (أليس) فى خجل :

ـ « أنا لا أعرف بعد يا سيدتى .. أعرف من كنته قبل بدء القصة ، لكن لابد أنى تغيرت كثيرًا منذ ذلك الحين ! »

ـ « ماذا تعنين بهذا ؟ أوضحى ! »

ـ « تغير الحجم عدة مرات فى اليوم .. هذا مربك ..أليس كذلك ؟ »

ـ « ليس مربكًا .. »

ـ « ربما أنت لم تجربى بعد .. لكنك سوف تصيرين شرنقة وترين .. ثم تصيرين فراشة .. هذا غريب بالنسبة لى .. »

ـ « لكن من أنت ؟ »

هكذا عادت المحادثة إلى بدايتها فشعرت (أليس) بالضيق وسألت اليرقة :

ـ « ربما كان عليك أن تقولى لى من أنت أولاً .. »

ـ « لماذا ؟ »

لم تكن (أليس) فى حالة معنوية جيدة تسمح بالشرح ، لذا قررت أن تنهى المحادثة وتنصرف .. هنا نادتها اليرقة :

ـ « تعالى .. هناك أشياء مهمة أقولها لك .. »

عادت (أليس) وقد بدا لها الكلام واعدًا .. فقالت لها اليرقة :

ـ « لا تفقدى أعصابك .. »

كان هذا يثير الغيظ .. فسألتها (أليس) :

ـ « هل هذا كل شىء ؟ »

ـ « لا .. ما الذى يجعلك تشعرين أنك صرت شخصًا آخر ؟ »

ـ « صرت أنسى كل شىء .. حجمى يتبدل كل عشر دقائق .. حاولت أن أتذكر أغنية (النحلة الصغيرة المشغولة) فلم أستطع .. »

ـ « غنى أغنية (انت عجوز يا بابا ويليام) .. »

بدأت(أليس) تنشد :

ـ « انت عجوز يا بابا ويليام .. الشاب الصغير قال .

عاوز تقف على راسك .. وده كلام محال ..

رد عليه بابا ويليام .. قال له أيام زمان

كنت بخاف ألأذى مخى .. دلوقتى عرفت تمام

إن ما عنديش مخ ..

حاعملها كمان وكمان .. »

« انت عجوز يا بابا ويليام .. مش عارف تمضغ حاجة ..

لكنك كلت الوزة وماسبتش منها حاجة ..

رد عليه بابا ويليام .. قال له أيام زمان

مرنت فكى كتير .. فى خناقى مع المدام ..

وعشان كده أنا عجزت .. لكن فكى تمام .. »

قالت اليرقة :

ـ « لقد غيرتِ الكثير من كلمات الأغنية .. إنها خطأ من بدايتها حتى نهايتها .. إلى أى حد تريدين أن تكبرى ؟ »

نظرت (أليس) إلى حجمها فأدركت أن حجمها صار ثلاث بوصات ..

ـ « هذا ليس سيئاً لكنى سأكون أفضل لو بلغت طولى الأصلى .. »

ـ « ثلاث بوصات طول ممتاز .. »

ونهضت اليرقة فاكتشفت (أليس) أن طولها ثلاث بوصات بالضبط .. فقالت متوسلة :

ـ « كنت أتمنى أن أستعيد طولى الأصلى .. »

ـ « سوف تعتادين هذا الطول مع الوقت .. »

ووضعت النارجيلة فى فمها وعادت تدخن .. ثم تثاءبت وانزلقت على عش الغراب مبتعدة وهى تغمغم :

ـ « ناحية سوف تجعلك أطول وناحية سوف تجعلك أقصر ! »

ـ « ناحية أى شىء ؟ »

ـ « ناحية عش الغراب .. »

لدقيقة وقفت (أليس) تفكر فى معنى هذه الكلمات الغريبة .. ناحية عش الغراب ؟ إن عش الغراب مستدير تماماً فأية ناحية هى الأولى وأية ناحية هى الثانية ؟

مدت يدها ونزعت قطعة من عش الغراب ثم قضمتها متسائلة عن التأثير ..

فى اللحظة التالية شعرت بضربة عنيفة أسفل فكها .. لقد اصطدم فكها بقدمها !

أصابها الهلع من هذا لكنها أدركت أنه لا داعى لتضييع الوقت .. بسرعة قضمت قطعة من الناحية الأخرى .. كان فكها ملتصقًا بقدمها لذا كان المضغ صعبًا لكنها استطاعت أن تمضغ على كل حال ..

*   *   *   *

*   *   *

*   *   *   *

*   *

*   *   *   *

*   *   *

قالت لنفسها :

ـ « على الأقل ابتعد ذقنى عن قدمى .. »

ونظرت لأسفل .. هنا أصابها الرعب عندما وجدت أنها عاجزة عن رؤية كتفيها .. كل ما تراه عندما تنظر لتحت هو عنق طويل بلا نهاية يخرج وسط الأوراق الخضر من تحت .. راحت تحرك يديها لكنها لم تستطع رؤيتهما ..

سرها أنها تستطيع أن تحرك رقبتها .. ثنتها كأنها ثعبان ونزلت إلى مستوى قمم الأشجار ، وراحت تبحث .. هنا ضربها شىء فى وجهها بقوة ..

كانت حمامة صغيرة تطير حولها وتصرخ :

ـ « أفعى !! »

قالت (أليس) :

ـ « أنا لست أفعى ! دعينى وشأنى .. »

لكن الحمامة لم تقتنع وقالت وهى تبكى :

ـ « لقد جربت كل شىء .. كأن عذاب وضع البيض ليس كافيًا ، بل لابد أيضًا من عذاب مواجهة الثعابين ! لقد جربت كل شىء للوقاية منها وحماية بيضى .. لم أنم منذ ثلاثة أسابيع ! »

اعتذرت لها (أليس) فى خجل .. لقد بدأت تفهم السبب ..

ـ « وبرغم أننى اخترت أكبر شجرة فى الغابة فقد وجدتها الأفاعى ! »

ـ « لكنى قلت لك إننى لست أفعى .. أنا فتاة صغيرة .. »

ـ « رائع ! لقد بدأت الكذب .. أنا رأيت الكثير من البنات من قبل ، فلم تكن إحداهن ذات عنق طويل كهذا .. ألا تحبين البيض ؟ »

قالت (أليس) التى اعتادت ألا تكذب :

- « بلى .. البنات الصغيرات يأكلن البيض .. لكن صدقينى أنـا غير مهتمة ببيضك .. دعك من أننى لن آكله نيئًا .. »

ثم تذكرت أن عش الغراب معها ، فجلست على الأرض وراحت تقضم منه حتى نجحت فى أن تستعيد طولها الأصلى ..

قالت لنفسها :

- « لقد نجحت فى استعادة طولى .. ما بقى هو أن أدخل تلك الحديقة التى رأيتها أولاً .. »

هنا رأت أمامها فسحة بها بيت صغير .. ارتفاعه حوالى أربعة أقدام ..

- « ترى .. من يعيش هنـا ؟ لا يمكن أن أدخـل بهذا الحجم وإلا قتلهم الذعر .. »

هكذا أمسكت بقطعة من عش الغراب وراحت تقضم حتى صار حجمها مناسبًا لدخول البيت ..

* * *

الفصل السادس

الخنزير والفلفل

وقفت خارج المنزل غير عالمة مـا عساها تفعله ..هنا ظهر خادم فى زى رسمى خارجًا من الدَّغَل (افترضت أنه خادم بسبب ثيابه وإلا لكان الأحرى أن تعتبره سمكة) .. ثم دق الباب ففتحه خادم آخر متسع العينين كأنه ضفدع ..

أخرج الخادم الشبيه بالسمكة من جيبه مظروفًا ضخمًا بحجمه هو نفسه وناوله للخادم الثانى وقال :

- « هذه دعوة من المنكة للدوقة للعب الكروكيت .. »

وانحنى الخادمان لبعضهما ..

ضحكت(أليس) من المنظر حتى إنها هرعت تتوارى فى الدغل حتى لا يسمعها أحد .. عندما خرجت ثانية كان الخادم السمكة قد رحل ، بينما جلس الآخر فى غباء ينظر للسماء .. خطر لها أن هذا سلوك غير مهذب ، ثم قررت أنه لا حيلة له فى ذلك لأن عينيه مثبتتان لأعلى ..

دقت الباب فقال الخادم :

ـ « لا جدوى من الدق لسببين .. أولاً لأننى فى ذات الجهة من الباب مثلك .. ثانيا لأنهم يحدثون صخبًا بالداخل ولن يسمعوك .. »

بالفعل كانت هناك ضوضاء بالداخل، مع أصوات أطباق تتحطم ..

ـ « ولكن كيف أدخل ؟ »

ـ « فقط لو كنت أنا فى جانب من الباب وأنت فى الجانب الآخر، ولم تكن هناك ضوضاء ، لفتحت لك .. »

طار طبق من الداخل وكاد يهشم أنف الخادم ، ثم اصطدم بالشجر وتهشم ..

أكمل الخادم كأن شيئًا لم يكن :

ـ « لكن هل يجب أن تدخلى فعلاً ؟ »

قالت لنفسها : إنه على درجة لا بأس بها من الخبال ، لذا تركته واتجهت إلى الباب وفتحته ..

كان هناك مطبخ كبير ملأه الدخان .. الدوقة كانت جالسة على مقعد ثلاثى ترضع طفلاً ، بينما فى الركن هناك من تقلب قِدرًا كبيرًا يبدو أنه يحتوى على حساء ..

عطست (أليس) بقوة وقالت لنفسها :

ـ « هناك بالتأكيد الكثير من الفلفل فى هذا الحساء .. »

كذا عطست الدوقة وعطس الطفل .. الوحيدان اللذان لم يعطسا كانا الطباخة وقطة تجلس فى الركن تضحك كاشفة عن أنيابها من الأذن للأذن ..

سألت (أليس) فى أدب :

ـ « معذرة .. لماذا تضحك قطتكم بهذا الشكل ؟ »

قالت الدوقة :

ـ « هى قطة من (تشيشاير) .. هذا هو السبب .. أيها الخنزير !! »

أجفلت (أليس) عندما قيلت الكلمة الأخيرة ، ثم أدركت أن الدوقة تكلم الطفل على حجرها ولم يكن الكلام موجهًا لها .. لذا قالت :

ـ « لم أدر أن قطط (تشيشاير) تضحك .. بالواقع لم أعرف أن القطط تضحك .. »

ـ « أنت لا تعرفين الكثير .. هذا هو السبب .. »

هنا انتهت الطباخة من الطهى فراحت تقذف كل شىء فى متناول يدها على الدوقة التى لم تبد أية ملاحظة لما يحدث .. ملاعق .. سلطانية .. سكاكين .. أطباق .. برغم أن بعض الأشياء راحت تضربها ..

ـ « أرجو أن تحترسى ! »

قالت الدوقة :

ـ « لو اهتم كل واحد بشئونه فقط ، لدار العالم بسرعة أكبر مما هو عليها .. »

وراحت تهز الطفل وهى تغنى أغنية مهد .. ومع نهاية كل مقطع تهزه هزة قوية :

« تكلمى مع ابنك بخشونة .. وعندما يعطس اضربيه ..

إنه يفعل هذا ليغيظك .. لأنه مجرد سفيه .. »

هنا رددت الطباخة والقط على سبيل الكورس :

ـ « ووووووووووه .. »

« أتكلم مع ابنى بخشونة .. وعندما يعطس أقتله

لأنه يشم الفلفل .. ويحب أن يأكله .. »

ثم ناولت الطفل لأليس قائلة :

ـ « هلمى . احمليه لو أردت .. يجب أن أتأهب لأن عندى موعدًا للعب الكروكيت مع الملكة .. »

حملت (أليس) الرضيع بصعوبة لأن أطرافه كانت مفتوحة فى كل اتجاه كأنه نجمة البحر .. راح يتلوى فظلت تبحث عن أفضل وضع للإمساك به ، فلم تجد إلا أن تمسك بأذنه اليسرى مع قدمه اليمنى بحيث تمنعه من فك نفسه ..

لاحظت أن عينيه ضيقتان جدًّا وأن أنفه طويل للغاية بالنسبة لبشر .. لم تكن هناك دموع فى عينيه برغم كل هذا البكاء .. لم تحب منظره على الإطلاق وقالت له :

ـ « لو كنت تنوى التحول إلى خنزير يا عزيزى فليس بوسعى أن أساعدك .. »

أنزلت الشىء على الأرض وتركته يركض إلى الغابة ، وقد قررت أنه من الغريب جدًّا أن تستمر فى حمل خنزير ..

هنا رأت قطة (تشيشاير) قد اتخذت لنفسها موضعًا على غصن عال من الشجرة .. كانت لها أنياب ضخمة فقررت (أليس) أنه يجب أن تعاملها باحترام ..

ـ « أيتها القطة العزيزة .. هلا قلت لى كيف أذهب من هنا ؟ »

ـ « هذا يتوقف على المكان الذى تريدينه .. »

ـ « لا فارق عندى بين مكان وآخر .. »

ـ « إذن لا يهم أى طريق تتخذين .. »

ـ « ما دمت سأذهب لمكان ما .. »

ـ « آه .. كل ما عليك هو أن تمشى مسافة كافية .. »

ثم أشارت بعيدًا وقالت :

ـ « فى هذا الاتجاه تجدين صانع قبعات .. ومن هنا تجدين أرنب مارس .. كلاهما مجنون على كل حال .. »

ـ « لكنى لا أريد زيارة المجانين .. »

ـ « لا حيلة فى ذلك .. كلنا هنا مجانين .. هل تنوين اللعب مع الملكة اليوم ؟ »

ـ « أتمنى ذلك ، لكن أحدًا لم يَدْعُنى .. »

فى اللحظة التالية اختفت القطة ..

كانت (أليس) قد اعتادت كل ما هو غريب ؛ لهذا لم تندهش قط .. كادت تنصرف لولا أن ظهرت القطة من جديد ..

ـ « بالمناسبة .. ماذا حدث للرضيع ؟ »

ـ « تحول إلى خنزير .. »

اختفت القطة ثانية ولم تظهر هذه المرة ..

مشت (أليس) فى الاتجاه الذى سمعت أن أرنب مارس يعيش فيه ..

ـ « أنا رأيت صانعى قبعات من قبل ، لكن هذا الأرنب غريب ومثير .. بالإضافة إلى أننا فى مايو .. ربما يكون أقل جنونًا ما دام هذا ليس (مارس) .. »

هنا رأت القط على غصن شجرة .. قالت له :

ـ « أرجو أن تكف عن الظهور والاختفاء فجأة .. فهذا يسبب لى الدُوَار .. »

ـ « حسن .. »

وفى هذه المرة اختفى ببطء شديد حتى لم يبق منه إلا الذيل وطاقم أسنانه .. وسرعان ما اختفى الذيل بدوره ..

فكرت (أليس) :

ـ « لقد رأيت قططًا من دون أسنان ضاحكة .. لكن أن أرى أسنانًا ضاحكة من دون قط .. هذا غريب فعلاً .. »

وجدت نفسها أمام بيت أرنب (مارس) .. عرفت أنها على حق لأن المداخن كانت على شكل آذان ، والبيت مغطى بالفراء ..

كان البيت كبيرًا ؛ لذا لم تدْنُ حتى التهمت بعض الفطر كى تكبر قليلاً .. وقالت لنفسها :

ـ « أرجو ألا يكون مجنونًا .. لربما كان من الأفضل أن أمشى فى اتجاه صانع القبعات .. »

* * *

الفصل السابع

حفل شاى مجنون

كانت هناك منضدة تحت شجرة أمام البيت .. وهناك كان الأرنب وصانع القبعات يشربان الشاى ..

كان سنجاب يغفو فى عمق بينهما ، وكانا يستعملانه كوسادة بريحانٍ مرفقيهما عليها ..

كانت المنضدة كبيرة ، لكن الثلاثة تزاحموا فى ركن منها .. وحينما رأوا (أليس) تصايحوا :

ـ « لا مكان .. لا مكان ! »

قالت :

ـ « بل هناك متسع .. »

وجلست على شيزلونج عملاق فى ركن المنضدة ..

قال صانع القبعات وهو يحدق فيها بفضول :

ـ « شعرك يحتاج إلى القص .. »

قالت له فى حدة :

ـ « يجب أن تتعلم عدم إبداء ملاحظات شخصية .. هذا فظ منك .. »

نظر لها ولم يعلق . إنما قال :

ـ « لماذا يشبه الغراب منضدة الكتابة ؟ »

قالت (أليس) :

ـ « جميل .. سوف نمرح قليلاً ما دمت بدأت بالألغاز .. أعتقد أننى سأحل هذا اللغز .. »

قال لها الأرنب :

ـ « هل تعنين أنك (ستجدين إجابة) ؟ »

ـ « أعتقد هذا .. »

ـ « إذن لماذا لا توضحين ما تقصدين ؟ »

ـ « أنا فعلت ذلك .. (أحل اللغز) و(أجد إجابة) هما الشىء ذاته .. »

قال صانع القبعات :

ـ « ليسا الشىء ذاته .. وإلا فقولك (أنا أرى ما آكله) هو نفس قولك (أنا آكل ما أراه) ! »

ثم أخرج ساعة من صديرى سترته ونظر لها وقال وهو ينظر غاضبًا إلى الأرنب :

ـ « يومان خطأ ! قلت لك إن الزبد لا يصلح لتشحيم الساعة .. »

قال الأرنب :

ـ « كان أفضل نوع من الزبد .. »

ـ « لابد أن هناك شيئًا عاق التروس .. ما كان يجب أن تفرد الزبد بسكين الخبز .. »

التقط الأرنب الساعة ونظر لها ثم ألقاها فى قدح الشاى ..

ـ « السنجاب قد نام ثانية .. »

قالها صانع القبعات وأفرغ الشاى الساخن على أنف السنجاب .. ثم سأل (أليس) :

ـ « هل خمنت اللغز بعد ؟ »

ـ « لا .. ما هى الإجابة ؟ »

ـ « ليست لدى أدنى فكرة .. »

وجدت (أليس) أنه من السُخف أن تضيع وقتها فى حل لغز بلا حل ، لذا سألت صانع القبعات :

ـ « لماذا لا تظهر ساعتك إلا الأيام بدلاً من الساعات ؟ »

ثم تذكرت شيئًا فأضافت :

ـ « هل لهذا تمتلئ الغرفة بأشياء ولوازم الشاى ؟ »

قال صانع القبعات :

ـ « نعم .. بما أنه لا وجود للساعات ، فاليوم كله هو ساعة شرب الشاى .. لهذا لا نجد وقتًا كافيًا لتنظيف أوعية الشاى .. »

ـ « ولهذا تتحركون من موضع لآخر فى الغرفة .. لكن ماذا يحدث عندما تعودون لنقطة البداية ؟ »

قال الأرنب فى عصبية :

ـ « أقترح تغيير موضوع الكلام .. لماذا لا تحكى لنا الآنسة قصة ؟ »

قالت (أليس) فى خجل :

ـ « آسفة .. لكنى لا أعرف أية قصة .. »

ـ « إذن فليفعل ذلك السنجاب .. وليفعله بسرعة قبل أن ينام مرة أخرى .. »

رفع السنجاب رأسه بعد ما أفاق من نعاسه وقال بسرعة :

ـ « كان يا ما كان كانت هناك ثلاث أخوات .. كانت أسماؤهن (السى) و(لاسى) و(تيلى) .. كن يعشن فى قاع بئر .. »

سألت(أليس) التى كانت مهتمة بمواضيع الأكل والشرب :

ـ « علامَ كُنَّ يَعِشْنَ ؟ »

ـ « كن يعشن على صمغ السكر .. »

ـ « مستحيل .. كن سيمرضن جدًا .. »

ـ « كن كذلك .. كن مريضات جدًا .. »

قال الأرنب لأليس فى جدية :

ـ « خذى المزيد من الشاى .. »

قالت (أليس) :

ـ « لا يمكننى أن آخذ المزيد ، لأننى لم آخذ أى شىء أصلاً .. »

ومدت يدها فصبت بعض الشاى وأخذت بعض الخبز والزبد ، ثم سألت السنجاب :

ـ « لماذا عشن فى قاع البئر ؟ »

فكر السنجاب قليلاً ثم قال :

ـ « كان بئرًا لصمغ السكر .. »

ـ « لا يوجد شىء كهذا .. »

لكن الأرنب وصانع القبعات أخرساها :

ـ « لو لم تستطيعى التصرف بتهذيب فلتكملى القصة بنفسك .. »

واصل السنجاب السرد فقال :

ـ « كانت الأخوات مغرمات بالرسم ، فكن يرسمن طَوال اليوم .. »

سألته(أليس) :

ـ « وماذا كن يرسمن ؟ »

ـ « صمغ السكر .. »

هنا قال صانع القبعات إنه راغب فى تغيير المكان إلى مكان أنظف .. هكذا تحرك كل واحد إلى مقعد جديد .. كان هو الوحيد المستفيد من التغيير ، بينما صار وضع (أليس) أسوأ لأنها وجدت نفسها تجلس أمام طبق سكب فيه السنجاب اللبن ..

واصل السنجاب الذى كان يقاوم النعاس بصعوبة :

ـ « كذلك كن مغرمات برسم كل شىء يبدأ اسمه بحرف (و) »

ـ « ولماذا حرف (و) بالذات ؟ »

ـ « ولِمَ لا ؟ وسائد .. وحل .. ورق .. وفرة .. أنت تسمعين عن الوفرة .. هل رأيت من قبل أحدًا رسم الوفرة ؟ »

ـ « ما دمت تسألنى .. لا أعتقد هذا .. »

قال صانع القبعات :

ـ « إذن التزمى الصمت .. »

كان هذا خشنًا بالنسبة لأليس حتى إنها نهضت على الفور مغادرة المكان .. لم يبد أحدهم أية علامة على أنهم لاحظوا رحيلها ، برغم أنها استدارت مرة أو مرتين متمنية أن ينادوها ..

آخر شيء رأته هو أنهما يحاولان وضع السنجاب فى أبريق الشاى .. وقفت جوار شجرة فى الغابة وقالت :

ـ « لن أعود بأى ثمن .. كان هذا أغبى حفل شاى حضرته فى حياتى .. »

هنا لاحظت أن الشجرة بها باب .. كان هذا غريبًا لكنها رأت الكثير مما هو غريب اليوم ، لذا اجتازت الباب .. وجدت نفسها من جديد فى الردهة التى بها المنضدة الزجاجية ..

هذه المرة تصرفت بحكمة .. أخذت المفتاح الذهبى الصغير من على المنضدة ووضعته فى جيبها ، ثم بدأت تمضغ غش الغراب حتى صار طولها قدمًا .. ثم اجتازت الباب الصغير الذى يقود إلى الحديقة ..

وجدت نفسها فى الحديقة الغناء بين أحواض الأزهار والنافورات ..

الفصل الثامن

ملعب الكروكيت الملكى

فى مدخل الحديقة كانت شجرة ورد عملاقة بها ثلاث وردات بيض ، لكن ثلاثة من البستانيين كانوا يعملون فى همة محاولين تلوين الورد بالأحمر ..

دنَتْ لتسألهم عن سبب هذا العمل الغريب ، فقال أولهم :

ـ « كان من المفترض أن تكون هنا شجرة ورد أحمر يا آنسة ، لكننا أخطأنا وزرعنا شجرة ورد أبيض .. لو عرفت الملكة لقطعت رءوسنا جميعًا .. »

هنا صاح أحدهم :

ـ « الملكة ! الملكة ! »

فارتمى البستانيون على وجوههم وسط العشب .. كانت (أليس) شديدة الشوق لترى هذه الملكة ..

جاء الموكب الغريب مبتدئًا بعشرة جنود يبدون كأوراق اللعب .. ثم الأطفال الملكيين .. بعد هذا جاء الضيوف ومن بينهم لمحت الأرنب الأبيض الذى كان يتكلم بعصبية ولم يلحظها .. وفى نهاية الموكب ظهرت ملكة القلوب مع الملك ..

لم تدر (أليس) إن كان عليها أن ترقد على وجهها أم لا ، لكنها لم تذكر تقليدًا مماثلاً فى المواكب .. ثم « ما نفع المواكب إذا كان الناس سينامون على وجوههم فلا يرون شيئًا ؟! »

دنا الموكب منها فتوقف ، ونظر الكل لها ، وسألت الملكة فى عنف :

ـ « من هذه ؟ ما اسمك يا طفلة ؟ »

ـ « اسمى (أليس) يا جلالة الملكة .. »

قالتها فى تهذيب ، لكنها قالت لنفسها : لماذا أخافهم ؟؟ ليسوا سوى مجموعة من أوراق اللعب ..

ـ « ومن هؤلاء ؟ »

وأشارت الملكة إلى البستانيين الذين رقدوا على وجوههم فلم يَبْدُ منهم شىء سوى علامة ورق اللعب على ظهورهم .. قالت (أليس) وهى مندهشة من جرأتها :

ـ « كيف لى أن أعرف ؟ هذا ليس من شأنى ! »

هنا احمر وجه الملكة غيظًا وصاحت :

ـ « اقطعوا رأسها !! »

وضع الملك يده على ذراعها وقال :

ـ « فكرى يا عزيزتى .. إنها مجرد طفلة ! »

نظرت الملكة إلى الورد على الشجرة وفهمت على الفور ما هنالك .. لذا صاحت فى جنون كحيوان مفترس :

ـ « اقطعوا رءوسهم ! »

هنا جرى البستانيون الثلاثة إلى (أليس) طالبين الحماية ، لأن ثلاثة جنود تخلفوا كى ينفذوا حكم الإعدام .

قالت(أليس) فى حزم :

ـ « لن تقطع رءوسكم ! »

نظر لها الجنود فى حيرة ، ولم يعرفوا ما يفعلون .. من ثم ركضوا ليلحقوا بموكب الملكة التى سألتهم :

ـ « هل طارت رءوسهم ؟ »

ـ « طارت يا مولاتى .. »

ـ « جميل .. هل تلعبين الكروكيت ؟ »

صمت الجميع لأنهم أدركوا أن السؤال موجه لأليس ، فقالت (أليس) :

ـ « نعم .. »

ـ « إذن تعالى .. »

هكذا وجدت (أليس) نفسها وسط الموكب تتساءل عما سيحدث بعد هذا ..

بصوت كالرعد هتفت الملكة :

ـ « خذوا أماكنكم !! »

فراح الموجودون يجرون يمينًا ويسارًا ويتعثرون ، لكنهم تمكنوا من الاصطفاف خلال دقيقة .. وبدأت اللعبة ..

لم تر (أليس) لعبة كروكيت بهذه الغرابة من قبل .. الكرات كانت قنافذ حية والمضارب طيور بشروش حية .. وكان الجنود ينثنون على أنفسهم ليصنعوا الأنفاق التى تجرى فيها الكرات ..

كان أصعب شيء واجه (أليس) هو التحكم فى طائر البشروش الخاص بها .. نجحت فى وضعه تحت ذراعها وقدماه تتدليان ، لكنها ما إن تستعد لتوجيه ضربة للقنفذ حتى يلتوى الطائر ويحدق فى وجهها .. تعبير غريب جدًا يدفعها لأن تنفجر فى الضحك ..

فما ان تستعد لتوجيه ضربة حتى تجد أن القنفذ قد فرد جسده وبدأ فى الابتعاد .. ولما كان الجنود يبتعدون ويتحركون فقد قدرت (أليس) أنها لعبة صعبة فعلا ..

كانت الملكة تزداد عصبية وراحت تصيح ذات اليمين وذات اليسار :

ـ « اقطعوا رأسه .. اقطعوا رأسها ! »

كانت(أليس) تشعر بعدم راحة .. صحيح أن علاقتها لم تتوتر مع الملكة ، لكن هذه اللحظة آتية حتمًا .. عندها ماذا سيحل بها ؟ إنهم مولعون بقطع الرءوس هنا حتى إنه من الغريب أن بعضهم ما زال على قيد الحياة !

فكرت فى الهرب ، لكنها فى اللحظة التالية رأت صفًا من الأسنان اللامعة .. إنها قطة (شيشاير) .. من الجميل أن تجد من تكلمه إذن ..

انتظرت حتى ظهر الرأس كله .. ثم قالت شاكية :

ـ « لا أعتقد أنهم يلعبون بقواعد .. ويتشاجرون بعنف وبصوت عال حتى إنك لا تقدر على سماع نفسك .. »

سألها القط بصوت خفيض :

ـ « هل تروق لك الملكة ؟ »

ـ « البتة .. إنها .. »

هنا لاحظت أن الملكة تقف خلفها بالضبط ... فقالت مكملة الكلام :

ـ « سوف تربح اللعبة بالتأكيد فلا جدوى من استكمال المباراة.. »

ابتسمت الملكة وابتعدت ..

هنا دنا الملك ونظر إلى القط مليًا ثم قال :

ـ « لا أحب منظر هذا القط .. مولاتى .. أرجو أن تعملى على إبعاد هذا القط .. »

كانت الملكة لا تملك إلا طريقة واحدة لمواجهة المشاكل .. لذا صاحت من دون أن تلتفت :

- « اقطعوا رأسه ! »

كانت قد أصدرت أوامرها بقطع رقاب ثلاثة من اللاعبين لأنهم خسروا أدوارهم .. وجرت (أليس) تبحث عن قنفذها لأنها لا تعرف إن كان دورها جاء فى اللعب أم لا .. كان القنفذ يتشاجر مع قنفذ آخر فقررت (أليس) أنها فرصة ممتازة لتضرب أحدهما بالآخر .. لكنها لم تجد طائر البشروش الخاص بها .. أخيرًا وجدته يحاول الطيران فوق شجرة ، فدسَّتْهُ تحت ذراعها كى لا يعاود الهرب ..

نظرت حيث كان القط فوجدت الملكة والملك والجلاد مشتبكين فى حوار ساخن .. دنت أكثر لتفهم ، فسمعت الجلاد يقول :

- « لكى أقطع رأس القط يجب أن يكون هناك جسد أفصله عنه .. أنا لم أقطع رأسًا بلا جسد من قبل ، ولا أنوى أن أبدأ التمرين فى هذه المرحلة من العمر .. »

كان رأى الملك أن أى شىء برأس يمكن قطع رأسه .. أما الملكة فكان رأيها أنه لو لم يتم عمل شىء حالاً فلسوف تطير رقاب الجميع ..

لم تجد (أليس) ما يقال سوى :

- « إن القط يخص الدوقة ... لابد من سؤالها قبل إعدامه .. »

لذا جرى الجلاد ليسأل الدوقة ..

ما إن عاد معها حتى كان القط قد اختفى تمامًا .. وهكذا ساد الهَرَج والمَرَج ، وعاد الجميع إلى اللعبة ..

الفصل التاسع

قصة السلحفاة الساخرة

قالت الدوقة وهى تتأبط ذراع (أليس) فى مودة :

- « لا يمكنك تصور مدى سعادتى بأن أراك ثانية أيها الشىء العزيز .. »

سُرَّت (أليس) لأنها قابلت الدوقة بهذا المزاج الرائق .. وقدرت أن مزاجها السيئ فى السابق كان بسبب الفلفل .. وقالت لنفسها :

- « لو صرت دوقة ، فلن أحتفظ فى مطبخى بأى شىء من الفلفل .. الحساء من دونه يظل طيب المذاق ... »

لم تحب (أليس) اقتراب الدوقة منها لهذا الحد ، أولاً لأن الدوقة كانت قبيحة جدًا ، ثانيًا لأن طولها كان مناسبًا كى ترتاح ذقنها الحادة المؤلمة بالضبط على كتف (أليس) .. ولكن (أليس) لم تعترض لأنها لم ترغب فى أن تكون فظة ..

قالت الدوقة :

- « لا أجسر على أن ألف يدى حول خصرك لأن طائر البشروش الذى تحملينه قد يَعَضّ .. »

قالت (أليس) محذرة وهى بالفعل غير راغبة فى هذه التجربة :

ـ « إنه شرس ويعض فعلاً .. »

ـ « طيور البشروش والخردل تعض .. والمغزى الأخلاقى من هذا هو : الطيور على أشكالها تقع .. »

ـ « الخردل ليس طائراً .. »

ـ « أنت على حق كالعادة .. يا لصفاء ذهنك !! »

ـ « إن الخردل معدن على ما أظن .. »

ـ « بالضبط .. » بدا أن الدوقة موافقة على أى شىء تقوله (أليس) « هناك منجم خردل قريب من هنا .. والمغزى الأخلاقى هو : كلما زاد ما أملكه قل ما تملكين أنت(*) ! »

ـ « إن الخردل نوع من الخضر .. لكنه لا يبدو كذلك .. »

ـ « أتفق معك تماماً .. والمغزى الأخلاقى هنا هو : كونى كما يبدو عليك .. أو بتعبير أكثر سهولة : لا تتخيلى نفسك فى صورة أخرى غير ما يبدو للآخرين .. فما كنته أو ستكونينه لا يختلف عما كان سيبدو لك لو كنت مختلفة .. »

(★) كالعادة .. تلعب على التشابه بين لفظتى Mine بمعنى (منجم) و Mine بمعنى (ملكى) ..

ـ « ربما لو كتبت هذا لفهمته .. لكنى لا أستطيع فهمه وأنت تقولينه .. »

ـ « إننى أستطيع قول ما هو أفضل .. إننى .. »

وفجأة كفت عن الكلام ، وارتجفت ذراعها ..

نظرت (أليس) فوجدت أن الملكة تقف غاضبة أمامهما وقد عقدت ذراعيها على صدرها .. قالت الملكة فى غضب للدوقة :

ـ « الآن أنذرك .. إما أنت أو رأسك يجب أن يختفى خلال خمس دقائق .. هذا هو الإنذار الأخير .. »

على الفور انطلقت الدوقة هاربة ..

عادت الملكة تلعب الكروكيت .. ومن جديد راحت تصدر أوامرها بقطع رأس هذا أو ذاك .. بالطبع كان الحراس يتخلون عن دورهم كأقواس ليحملوا المحكوم عليه إلى الحجز .. هكذا راحت الأقواس تختفى .. وفى النهاية لم يبق شخص واحد لم يحكم عليه بقطع رأسه سوى (أليس) والملكة والملك ..

سألتها الملكة :

ـ « هل قابلت السلحفاة الساخرة ؟ »

قالت(أليس) :

ـ « لا لم ألقها .. وأنا لا أعرف حتى ما هى هذه السلحفاة الساخرة .. »

ـ « إنها الشىء الذى يصنعون حساء السلحفاة الساخرة منه .. »

ثم أصدرت أوامرها لجريفون Gryphon ـ وهو حيوان خرافي له رأس وجناحا نسر وجسد أسد ـ بأن يصحب (أليس) إلى السلحفاة الساخرة .. لم تحب (أليس) شكل الحيوان لكنها قدرت أن مرافقته أكثر أمنًا من مرافقة الملكة التى لا تكف عن قطع الرءوس ..

كانت السلحفاة تجلس وحيدة حزينة على صخرة ..

ومن هذه المسافة كان بوسع (أليس) أن تسمعها تتنهد كأن صدرها يتمزق .. قال لها الجريفون :

ـ « هذه الآنسة الصغيرة ترغب فى سماع قصتك .. »

ـ « سأفعل ذلك لكن اجلسا أولاً ولا تتكلما .. »

ثم ساد صمت طويل .. طويل .. فى النهاية قالت السلحفاة :

ـ « فى الماضى كنت سلحفاة طبيعية .. »

وعاد الصمت لفترة طويلة جدًا لا يقطعه إلا همهمة مؤيدة من الجريفون ، حتى إن (أليس) فكرت فى أن تنهض وتشكرها على قصتها الممتعة ثم تنصرف .. لكنها قدرت أن للقصة بقية بالتأكيد ..

ـ « عندما كنا صغارًا ذهبنا إلى المدرسة فى البحر .. المدرس كان سلحفاة عجوزًا .. وكنا نظفر بأفضل تعليم لأننا كنا نذهب إلى المدرسة كل يوم حتى لو لم تصدقى هذا .. »

ـ « من قال إننى لا أصدق ؟ »

ـ « أنت قلت هذا .. »

ـ « وكم عدد الساعات التى كنتم تقضونها فى المدرسة ؟ »

ـ « عشر ساعات أول يوم .. تسع ساعات ثانى يوم .. وهكذا .. »

ـ « يا لها من طريقة غريبة .. »

قال الجريفون :

ـ « لهذا يطلقون على الدرس Lesson .. لأنه يصغر Lessen يومًا بعد يوم .. »

لم تسمع (أليس) هذا المنطق من قبل ، لذا خطرت لها فكرة :

ـ « إذن اليوم الحادى عشر كان إجازة .. »

ـ « هو كذلك .. والآن يكفينا هذا الكلام عن الدروس ولنعد لموضوعنا .. »

لكن الجميع اندمج فى رقصة غريبة اسمها (لعبة جراد البحر) .. ونسوا كل شىء عن قصة السلحفاة .. إلى أن تذكر الجريفون أن عليهم ان يتواجدوا فى المحكمة حالاً ..

الفصل العاشر

من سرق الكعك ؟

كان الملك والملكة جالسين على عرشهما بينما احتشد حولهما جمع من الطيور والحيوانات وأوراق اللعب .. جوار الملكة وقف الأرنب الأبيض وفى يده نفير وفى اليد الأخرى لفافة من الورق .. ووسط قاعة المحكمة كانت منضدة عليها طبق من الكعك .. كان الكعك رائع المنظر لدرجة أن (أليس) شعرت بالجوع لمجرد النظر ..

لم تكن (أليس) قد دخلت محكمة من قبل ، وإن قرأت عنها فى الكتب ، لذا سرها أنها تعرف اسم كل شىء هنا .. هذا هو القاضى لأنه يلبس جُمّة عملاقة ..

كان القاضى هو الملك نفسه .. ولما كان يضع التاج فوق الجمة فإنه لم يكن مرتاحا على الإطلاق .

قالت لنفسها :

ـ « هؤلاء هم المُحلَّفُونَ .. هذه المخلوقات الاثنا عشر .. »

وشعرت بالفخر بنفسها لأنها لا تعتقد أن هناك فتاة أخرى من سنها فى البلاد تعرف معنى هذه الكلمة (محلفون) .. كانوا منهمكين فى الكتابة ؛ لذا سألت الجريفون :

ـ « ماذا يكتبون ؟ إن المحاكمة لم تبدأ بعد .. »

قال الجريفون :

ـ « يكتبون أسماءهم لأنهم يخشون أن ينسوها عند انتهاء المحاكمة .. »

ـ « أغبياء ! »

قالتها بصوت عال ، ولاحظت ـ لدهشتها ـ أن المحلفين جميعًا كتبوا (أغبياء) فى أوراقهم .. وأحدهم لم يعرف كيف يكتبها حتى إنه سأل جاره ..

كان أحد الأقلام يحدث صريرًا عاليًا لذا نهضت فى حزم ووقفت خلف المحلف والتقطت القلم وألقت به بعيدًا ، قبل أن يفهم ما حدث .. لهذا ظل المسكين يكتب بأصبُعه حتى نهاية الجلسة ..

قال الملك :

ـ « أيها المنادى .. اتْلُ الاتهام ! »

فك الأرنب اللفافة وراح يقرأ :

ـ « ملكة القلوب .. صنعت كعكًا فى يوم صيف سعيد ..

المهرج سرق هذا الكعك .. وفرَّ إلى بعيد .. »

قال الملك :

ـ « استدعوا الشاهد الأول .. »

كان الشاهد الأول هو صانع القبعات ، وقد جاء وفى يده قدح شاى وفى يده الأخرى قطعة خبز بالزبد ..

ـ « أعتذر لجلالتكم .. لكنى لم أكن قد فرغت من الشاى عندما استدعونى .. »

ـ « كان عليك أن تكون انتهيت .. والآن انزع قبعتك .. »

ـ « ليست قبعتى .. إننى أحتفظ بها للبيع .. ليست لدى أية قبعة .. »

ـ « تكلم وإلا أمرت بإعدامك حيث تقف .. »

أثار هذا توتر الشاهد أكثر ، وعجز عن الكلام .. وفى توتره قضم قطعة من قدح الشاى مع قطعة الخبز ..

هنا شعرت (أليس) بشعور عجيب ! إنها تزداد حجمًا .. لكنها فضلت أن تبقى حيث هى .. وسمعت السنجاب يقول لها (حيث جلس جوارها) :

ـ « هلا كففت عن الضغط ؟... لا أقدر على التنفس .. »

ـ « ليس هذا بيدى .. أنا أكبر .. »

ـ « ليس من حقك أن تكبرى هنا .. أنا أكبر كذلك لكن بمعدل معقول .. »

فى هذا الوقت كان صانع القبعات يجثو على ركبتيه متوسلاً :

ـ « مولاى .. أنا رجل فقير لم أفرغ بَعْدُ من شرب الشاى .. »

ـ « هلم قل دليلك وإلا أمرت بإعدامك حيث أنت .. »

نظر صانع القبعات فى قلق إلى حيث جلست الملكة .. كانت تراجع قائمة بأسماء المُغَنِّين فى حفل الكونشرت الأخير الذى حضرتَه .. فقال له الملك :

ـ « يمكنك الرحيل .. »

طار صانع القبعات فرحًا واندفع خارجًا من المحكمة .. هنا قالت الملكة :

ـ « واقطعوا رقبته بالخارج .. »

لكن الرجل كان قد خرج فعلاً ولم يتمكن الحارس من اللحاق به ..

كان الشاهد الثانى هو طباخة الدوقة . كانت تحمل علبة الفلفل وقد خمنت (أليس) هذا قبل أن تراها ، عندما رأت الناس يعطسون قبل دخولها ..

سألها الملك :

ـ « مِمَّ كان الكعك مصنوعًا ؟ »

ـ « من الفلفل .. »

جاء صوت ناعس من الخلف يقول :

ـ « من صمغ السكر .. »

صرخت الملكة :

ـ « اقطعوا رقبة هذا السنجاب !! أخرجوه من القاعة ! امسكوه .. اضربوه ! »

وسط هذه الضجة اختفت الطاهية .. ومال الملك على زوجته هامسًا :

ـ « أقترح أن تقومى أنت باستجواب الشاهد التالى فقد بدأت أشعر بصداع .. »

راح الأرنب يمرر أصبعه على القائمة ، وراحت (أليس) تتساءل عمن يكون الشاهد التالى .. لهذا تصوَّرْ دهشتها عندما صاح الأرنب مناديًا اسمها :

ـ « أليس !! »

الفصل الحادى عشر

شهادة (أليس)

نهضت (أليس) مسرعة وقد نسيت حجمها الجديد ، لدرجة أن تنورتها حلقت فوق رءوس المحلفين فأطارت الكثيرين منهم ، حتى تذكرت حوض السمك الذهبى الذى أسقطته منذ اسبوع ..

قالت فى خجل حقيقى :

ـ « أنا آسفة .. »

وراحت تلتقطهم من على الأرض وتعيدهم لمقاعدهم ، فقد تذكرت قصة السمك وشعرت بأن عليها أن تعيدهم بسرعة وإلا ماتوا !

صاح الملك وهو ينظر لها بحزم :

ـ « لا يمكن أن تستمر المحاكمة ما لم يعد كل المحلفين لأماكنهم ! »

فما إن عاد الجميع لمقاعدهم حتى جلسوا وراحوا يكتبون فى حماس تفاصيل وملابسات الحادث ..

سألها الملك :

ـ « ماذا تعرفين عن القضية ؟ »

ـ « لا شىء »

ـ « لا شىء ؟ هذا مهم .. »

هنا تدخل الأرنب وقال :

ـ « تعنى جلالتك (غير مهم) ... على ما أعتقد .. »

ـ « نعم . نعم . هذا ما عنيته ..غير مهم .. »

ونظر بعين نارية إلى الأرنب ، ثم عاد ينظر إلى الأوراق ويهمس لنفسه : مهم .. غير مهم .. كأنه يستوثق أى اللفظتين أوقع على السمع .. ثم قال لأليس :

ـ « هناك قاعدة فى هذه المحكمة تقول إن أى شخص ارتفاعه اكثر من ميل يجب أن يخرج ! »

ـ « لكن ارتفاعى ليس أكثر من ميل .. »

ـ « بل أنت كذلك .. »

ـ « على كل حال لن أخرج مهما حدث .. هذه القاعدة جديدة اختلقتموها أنتم وإلا لكانت هى رقم واحد ! »

هنا قاطع الأرنب الجلسة حاملاً ورقة وقال :

ـ « مولاى .. هذه الرسالة كتبها السجين لشخص ما .. »

ـ « جميل . هذا مهم ما لم يكن كتبها (للا أحد) .. وهذا غير معتاد كما تعلم .. »

فتح الأرنب الورقة ونظر فيها ثم قال :

ـ « ليست رسالة على الإطلاق .. إنها أبيات شعر .. والغريب أنها ليست بخط السجين .. »

هنا صاح المهرج :

ـ « مولاى .. هذا يثبت أننى لم أكتبها .. هذا ليس خطى ولن تجد توقيعى .. »

قال الملك :

ـ « لو كنت رجلاً شريفًا لوقعت باسمك . عدم وجود توقيع يعنى أنك كنت تنوى عملاً غير شريف ! »

هنا دوى التصفيق ؛ فقد كان هذا أذكى ما قاله الملك اليوم . وقالت الملكة :

ـ « هذا دليل إدانة قوى .. »

صاحت (أليس) :

ـ « بالعكس .. هذا لا يدل على شىء .. لماذا لا تقرءون الرسالة قبل أن تتكلموا ؟ »

وضع الأرنب عويناته وسأل الملك :

ـ « من أين أبدأ القراءة يا مولاى ؟ »

قال الملك فى جدية :

- « ابدأ من البداية .. واستمر فى القراءة حتى تصل إلى النهاية ثم توقف .. »

بدأ الأرنب يقرأ :

- « قالوا لى إنك ذهبت لها ..

وإنك أخبرته بأمرى ..

قال لهم إننى لم أذهب ..

(ونحن نعرف أن هذا حقيقى) ..

لو أنها حركت الأمور فماذا سيحدث لك ؟

أعطيتها واحدة .. وأعطوه اثنتين ..

أنت أعطيتنا ثلاثًا أو أكثر ..

عادوا جميعًا من عنده إليك .

برغم أنهم كانوا ملكى فى البداية ..

فكرتى هى أنك (قبل أن تصيبها النوبة) ..

عقبة وقفت بيننا وبينه وبينها ..

لا تدعه يعرف أنها أحبتهم بشدة ..

لأن هذا سر خطير ..

يجب إبقاؤه بينى وبينك .. »

فرك الملك يديه وقال :

- « هذا هو أهم دليل ظهر لنا .. فليقرر المحلفون الآن .. »

قالت(أليس) التى ازدادت حجمًا فى اللحظات الأخيرة :

- « فقط لو استطاع أحدهم أن يشرح معنى هذه الكلمات .. سأعطى ستة بنسات لمن يشرح لنا معنى هذا لأننى متأكدة أنه لا معنى له .. »

قال الملك وهو يفرد الرسالة على ركبته ويتأملها :

- « لو لم يكن لها معنى فهذا يوفر علينا الكثير من العناء ، لكنى أشعر بأن لها معنى ما .. (أعطيتها واحدة .. وأعطوه اثنتين) .. لابد أن هذا الكلام عن الكعك .. وعبارة (ونحن نعرف أن هذا حقيقى) .. واضح أنه يتكلم عن المحلفين .. »

سألته (أليس) :

- « وما معنى (عادوا جميعًا من عنده إليك) ؟ »

أشار الملك إلى الكعك على المنضدة فى انتصار وقال :

- « الكلام عن الكعك طبعًا .. لقد عاد لنا الكعك .. والآن ليصدر المحلفون قرارهم .. »

قالت الملكة :

- « الحكم أولاً ثم القرار .. »

صاحت (أليس) :

ـ « هذا كلام فارغ .. لا يوجد شىء اسمه الحكم قبل القرار .. »

ـ « اقطعوا رأسها ! »

ـ « ليس هذا بوسعكم .. أنتم مجرد أوراق لعب ! »

هنا ثارت قاعة المحكمة وماجت ، وتطايرت أوراق اللعب من كل صوب فى وجه (أليس) .. راحت تبعد الأوراق عن وجهها حتى سقطت على الأرض ..

هنا وجدت نفسها راقدة على ضفة النهر ، ورأسها فى حجر أختها التى كانت تمسح برقة بعض أوراق الشجر الجافة التى سقطت على وجهها ..

قالت أختها :

ـ « استيقظى يا (أليس) .. ما كل هذا النوم ؟ »

قالت :

ـ « لقد رأيت حلمًا عجيبًا .. »

وراحت تحكى لأختها تفاصيل المغامرة التى قرأتها أنت الآن .. طلبت منها أختها أن تسرع بالعودة لتلحق بموعد الشاى ، لكن الأخت الكبرى نفسها ظلت حيث هى وحدها مستندة بذقنها على قبضتها ، تراقب الشمس الغاربة ...

بدأت تحلم بدورها .. كان حلمها يدور حول أيد رقيقة تلتف حول ركبتيها .. عيون لامعة متلهفة تنظر إليها .. كانت تسمع صوتها وترى رأسها يهتز محاولاً إبعاد خصلات شعرها عن عينيها ..

امتلأ المكان بمخلوقات صغيرة جاءت من حلم (أليس) .. الأرنب المذعور .. الطفل الخنزير . الملكة تأمر بقطع الرقاب ..

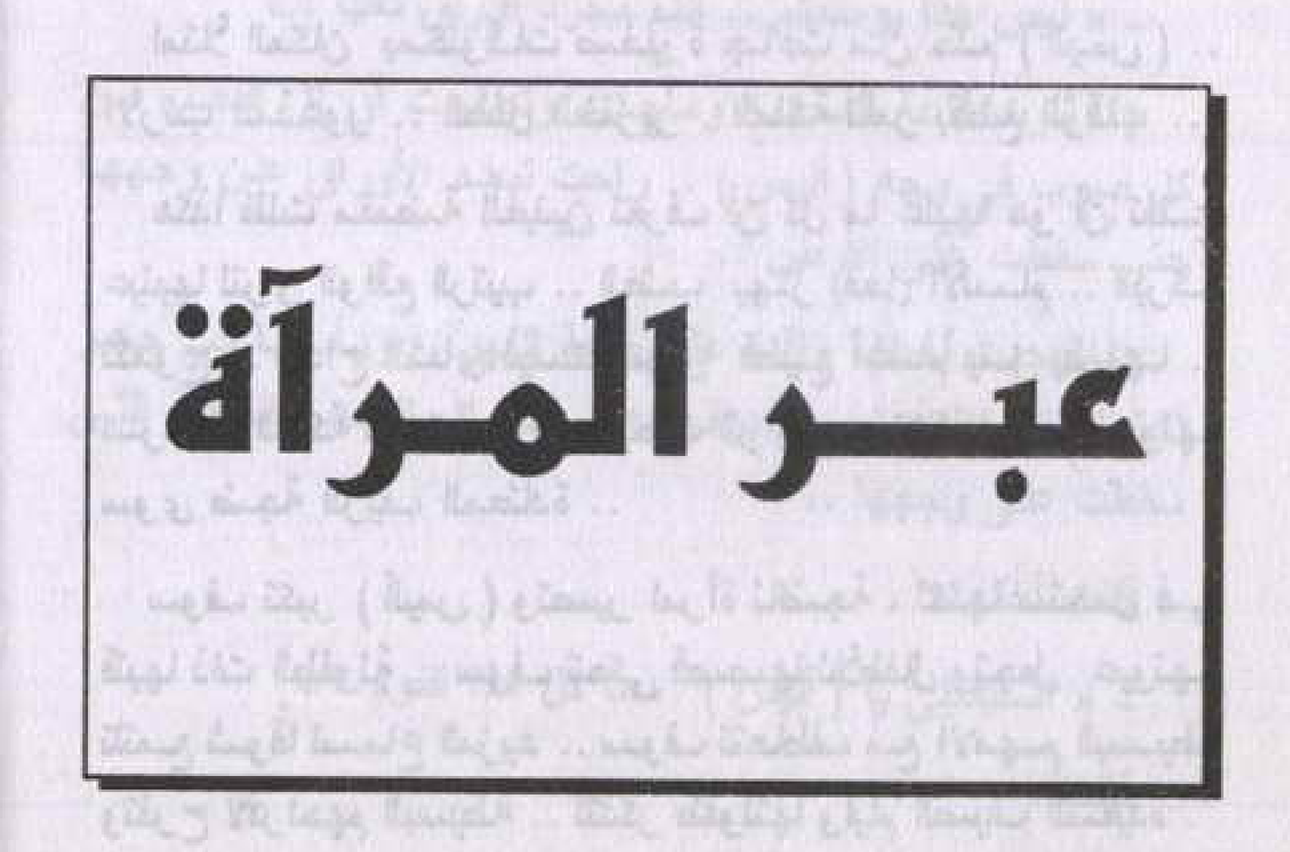
هكذا ظلت مغمضة العينين تعرف أن كل ما عليها هو أن تفتح عينيها لترى الواقع الرتيب .. العشب يهتز بفعل الأنسام .. البركة تتموج .. أقداح الشاى ليست سوى قطيع أغنام يمر بقربها .. صرخات الملكة ليست سوى صيحات الراعى .. لا شىء من حولها سوى ضجة الريف المعتادة ..

سوف تكبر (أليس) وتصير امرأة ناضجة ، لكنها ستحمل فى قلبها ذات الطفولة .. سوف تحكى قصصها للأطفال وتجعل عيونهم تلتمع شوقًا لسماع المزيد .. سوف تتعاطف مع آلامهم البسيطة وتفرح لأفراحهم البسيطة .. تتذكر طفولتها وأيام الصيف السعيدة .

تمت

لويس كارول

1865



الفصل الأول

بيت المرايا

شىء واحد كان مؤكدًا : القطة البيضاء لا دخل لها فى الأمر .. كان هذا خطأ القطة السوداء كلية .. كانت القطة الكبيرة تغسل وجه القطة البيضاء فى الربع ساعة الأخير ، لذا ترى أنه لم يكن لها دور فى هذه الحادثة المؤسفة ..

كانت (دينا) تغسل وجوه أولادها بالطريقة التالية : أولاً تمسك الشىء المسكين من أذنه بيد واحدة ، ثم تغسل الوجه كله باليد الأخرى بادئة من الأنف . لهذا كانت منهمكة فى غسل وجه القطة البيضاء التى كانت صامتة تحاول أن تقر .. تدرك جيدًا أن هذا لمصلحتها ..

كانت(أليس) متكورة فى مقعدها الكبير فى الركن ، نصف نائمة وتتكلم مع نفسها .. كانت القطة السوداء قد فرغت من الاستحمام واللعب بكرة الصوف ، وقد راحت تتلوى حتى فكت الخيط عن نفسها .. هكذا امتلأت السجادة بالفوضى والعقد بينما القطة الصغيرة وسطها تلاحق ذيلها ..

صاحت (أليس) :

- « أنت ايها الشىء الشقى !! »

وأمسكت بالقطة وقبلتها لتجعلها تفهم أن هذا مشين .. ونظرت إلى القطة الكبيرة لائمة :

ـ « كان عليك أن تعلميها الأدب يا دينا .. »

ثم عادت إلى المقعد ، وواصلت الغزل الذى بدأته بينما قطتها الصغيرة تضع كفها على الصوف من حين لآخر كأنها ترغب فى المساعدة .. قالت لها (أليس) :

ـ « هل تعرفين ما المفترض غدًا يا قطيطة ؟ كنت ستعرفين لو وقفت فى النافذة معى .. كانت دينا تنظفك فلم يكن هذا بوسعك .. كان الصبية يجمعون الأخشاب لإشعال نار فى الخلاء .. ثم ازداد البرد وسقطت الثلوج ، من ثم رحلوا .. لن تتصورى مدى غضبى من الفوضى التى صنعتِها .. كنت على وشك أن أفتح النافذة وألقى بك للخارج فى الثلج .. لقد استحققت هذا أيتها العزيزة الشقية ! لقد ارتكبت غلطتين .. الغلطة الأولى هى أنك صرخت مرتين عندما كانت أمك تنظفك .. لا تقولى إن السبب هو أن عينك آلمتك .. هذه غلطتك . لا أحد يفتح عينيه أثناء الاستحمام .. الغلطة الثانية هى أنك بللت ذيلك باللبن عندما وضعت الطبق أمامها .. لكنى لن أعاقبك الآن .. سأؤجل كل عقابك إلى يوم الأربعاء !

هل تسمعين الثلج إذ يضرب النافذة برقة يا قطيطة ؟ أتساءل إن كان الثلج يعشق الأشجار لذا يقبلها بهذه الرقة .. ثم يغطيها برداء أبيض محكم ، ويقول لها : نامى يا عزيزتى حتى الصيف ..

عندما تصحو الأشجار فى الصيف تلبس الأخضر وترقص .. كم أن هذا رائع ! ليته حقيقى ..

هل تلعبين الشطرنج يا قطيطة ؟ لا أمزح .. كنت تراقبيننى وأنا ألعب منذ قليل ، وعندما قلت (كش مات) أصدرت قريرًا .. دعينا نتظاهر بذلك .. »

أتمنى لو استطعت أن أحكى لك نصف عبارات (أليس) المعتادة ، بدءًا بكلمتها (دعينا نتظاهر) .. ذات مرة أفزعت مربيتها عندما صاحت فيها : مربيتى .. دعينا نتظاهر بأننى ضبع جائع وأنت قطعة عظم ..

هكذا قالت للقطيطة :

ـ « دعينا نتظاهر بأنك ملكة الأحمر .. لو جلست وثنيت يديك لصرت مثلها بالضبط(*) .. »

ورفعت تمثال ملكة الأحمر من على المدفأة ووضعته أمام القطيطة .. لكن هذا لم ينجح لأن القطيطة لم تستطع أن تطوى ذراعيها جيدًا ..

(★) يبدو أن لونى قطع الشطرنج السائدين فى ذلك الوقت كانا الأحمر والأبيض بدلاً من الأسود والأبيض كما اعتدنا ..

حملت القطيطة إلى المرآة كى ترى نفسها .. وقالت :

ـ « لو أنك أصغيت إلىّ جيدًا لأخبرتك بكل أفكارى عن بيت المرايا .. أولاً هناك غرفة ترينها عبر الزجاج .. تشبه غرفة معيشتنا بالضبط فيما عدا أن كل شىء مقلوب .. أراها بوضوح عندما أقف على مقعد .. أتمنى لو عرفت هل عندهم نار فى الشتاء أم لا .. الكتب تشبه كتبنا لكن الكلمات مقلوبة .. لقد رفعت كتابًا من كتبى فرفعوا كتابًا يشبهه فى غرفة المرايا .. ترى هل تحبين الحياة فى بيت المرايا ؟ هل يقدمون لك لبنًا ؟ لكن ربما لن تحبى لبن بيت المرايا .. لكم أتمنى لو استطعت دخول بيت المرايا .. أنا متأكدة من أنه يحوى أشياء رائعة .. دعينا نتظاهر بأن سطح المرآة ناعم يمكن اختراقه .. ولكن .. إن سطح المرآة يتحول إلى ضباب .. بالفعل يمكننا أن نجتازه ! »

بالفعل كان الزجاج يذوب كأنه ضباب فضى ..

فى اللحظة التالية كانت (أليس) قد اخترقت الزجاج لتصير فى غرفة المعيشة فى بيت " رايا ..

أول ما فعلته هو أن تفحصت المدفأة لترى إن كانت هناك نيران .. سرّها أن وجدتها ..

ـ « إذن سأكون دافئة هنا كما كنت فى البيت القديم .. فى الواقع سأكون فى حالة أفضل لأن أحدًا لن يلومنى ويبعدنى عن المدفأة .. »

من هنا كانت ترى الغرفة القديمة .. وبدا لها كل شىء فيها معتادًا غير شائق ..

أما الغرفة الحالية فكانت ساحرة .. الصور على الجدار بدت مليئة بالحياة .. الساعة فوق المدفأة صار لها وجه رجل عجوز يضحك لها ..

قالت لنفسها :

ـ « هم لا يُعْنون بتنظيف هذه الغرفة مثل القديمة .. »

لأنها وجدت الكثير من قطع الشطرنج على الأرض .. وفجأة أطلقت صيحة دهشة لأن قطع الشطرنج نهضت وراحت تمشى اثنتين اثنتين !

قالت لنفسها همسا كى لا تثير رعبهم :

ـ « ها هو ذا ملك الأحمر وملكة الأحمر .. وها هو ذا الملك والملكة الأبيضان .. وهنا طابيتان تمشيان معًا .. لكنى أشعر بأنهم لايروننى .. بشكل ما أنا خفية .. »

هنا سمعت صوت شىء يحدث صريرًا خلفها .. استدارت فرأت بيدقًا أبيض يتدحرج ويركل .. راقبته بفضول لتعرف ما سيحدث بعد هذا .

صاحت الملكة البيضاء وهى تنطلق ، حتى إنها أوقعت الملك أرضًا :

ـ « هذا صوت ابنتى ! (ليلى) الصغيرة ! ابنتى العزيزة ! يا قطتى الملكية ! »

قال الملك :

ـ « تفاهة ملكية ! »

قالها وهو يحك أنفه .. كان من حقه أن يتضايق لأنها أسقطته فى رماد المدفأة ..

كانت (أليس) راغبة فى المساعدة ، خاصة وأن (ليلى) كانت موشكة على الإصابة بنوبة من كثرة البكاء ، لذا التقطت الملكة ووضعتها على منضدة جوار ابنتها المزعجة ..

احتضنت الملكة ابنتها والتقطت أنفاسها ثم صرخت فى الملك :

ـ « عليك بالبركان ! »

نظر الملك إلى النار فى حيرة وقال :

ـ « أى بركان ؟ »

التقطته (أليس) برقة ووضعته على المنضدة .. لكن قبل أن تفعل ذلك قررت أن تنفضه لأنه مغطى بالرماد ..

قالت فيما بعد إنها لم تر أحدًا مندهشًا مثل الملك وهو طائر فى الهواء بيد خفية ، بينما يد خفية أخرى تنفضه من الرماد .. اتسعت عيناه أكثر فأكثر حتى إن الضحك غلبها .. اهتزت يدها فسقط على الأرض ..

قالت له :

ـ « كف عن إضحاكى بهذه التعبيرات فأنا غير قادرة على حملك .. »

لكنه لم يسمعها ولم يرها ..

عندما وجد نفسه جوار الملكة راح يحكى لها فى لهفة كيف أنه وجد نفسه طائرًا فى الهواء ، فقالت له :

ـ « اكتب هذا فى مفكرتك قبل أن تنساه .. »

هكذا أخرج قلمًا وراح يخط فى الدفتر الكبير .. أمسكت (أليس) بالقلم وكتبت (الفارس الأبيض ينزلق فوق محراك النار .. إنه لا يجيد التوازن) ..

كان الملك مذهولاً لأن القلم يكتب من تلقاء ذاته ،وقرأت الملكة ما كتب فقالت :

ـ « هذا غريب .. هذا ليس تعبيرًا عن مشاعرك .. »

بينما كان الملك يحكى عن دهشته وحيرته ، وجدت (أليس) كتابًا صغيرًا على المنضدة فراحت تقلب صفحاته .. وجدته مكتوبًا بلغة غريبة :

يكووريبــاج

يثباى يكووريباجلا نم سرتحا

صنتقت يتلا بلاخملا و نامضقى ناذللا ناكفلا ..

بوجوجلا رئاط نم سرتحا ..

فيخملا شتانسردنبلا نمو ..

للحظات أصابتها الدهشة ثم خطرت لها فكرة :

ـ « هذه مرآة .. الكلمات معكوسة .. ولو وضعت الكلمات أمام المرآة لاستطعت قراءتها ! »

وضعت الورقة أمام المرآة فقرأت القصيدة التالية :

جابيرووكى

احترس من الجابيرووكى يا بنى ..

الفكان اللذان يقضمان والمخالب التى تقتنص ..

احترس من طائر الجوجوب ..

ومن الباندرسناتش المخيف(*) ..

(*) ترجمة القصيدة مستحيلة لأنها مكونة من كلمات اخترعها لويس كارول بعبقرية ، ولا وجود لها فى الإنجليزية .. دخلت لفظة (جابيرووكى JABBERWOCKY) قواميس اللغة الإنجليزية بعد هذه الرواية ، لتدل على الكلام الذى يوحى بأن له معنى لكن لا معنى له على الإطلاق .

قالت (أليس) لنفسها :

ـ « تبدو جميلة ، لكن من العسير فهمها ..إنها تملأ رأسى بأفكار لكنى لا أعرف ما هى .. »

ولم تعترف لنفسها بأنها لم تفهم أى شىء على الإطلاق ..

ثم قالت لنفسها إن فرصتها فى رؤية باقى البيت قد تضيع ، لو لم تسرع برؤية الحديقة مثلاً .. أسرعت تهبط الدرج بطريقة اخترعتها ، هى أن وضعت أطراف أصابعها على الترابزين وانزلقت بخفة لأسفل من دون أن تلمس درجة سلم واحدة ..

فى النهاية هبطت شاعرة بالدوار ، وسرها أن تجد قدميها على الأرض من جديد ..

الفصل الثانى

حديقة الأزهار الحية

قالت (أليس) لنفسها :

ـ « يجب أن أرى الحديقة كلها .. لو مشيت فى هذا الممر لارتقيت هذا التل ، من ثم .. لكن لا .. لا يبدو أن هذا الممر يقود لأعلى التل .. لَشَدَّ ما يتلوى ! كأنه فتاحة زجاجة .. لكنى سأستمر فى المشى فيه لأرى .. »

لكنها وجدت أن الممر عاد بها للمنزل .. جربت أكثر من طريق .. لكنها فى كل مرة تعود للمنزل .. أصابتها الحيرة وأنهكها التعب عندما وجدت فى طريقها حوضًا من أشجار السوسن .. قالت للأزهار :

ـ « ليت بوسعكن الكلام ! »

قالت زهرة فى الحوض :

ـ « نحن نستطيع الكلام فعلاً ! »

هنا بدأت أزهار الأقحوان فى الكلام بصوت رفيع .. كلهن فى صوت واحد ، إلى أن صاحت زهرة السوسن بصوت عال :

ـ « صمتًا !! »

ثم قالت مفسرة :

ـ « يفعلن هذا لأنهن يعرفن أننى عاجزة عن الوصول إليهن .. »

قالت (أليس) للأزهار مهددة :

ـ « لو لم تلزمن الصمت فلسوف أقتطف أول من تتكلم .. »

ساد الصمت وابْيَضَّ وجه بعض الأزهار التى كانت وردية ..

قالت زهرة السوسن :

ـ « أحسنت ! إن أزهار الأقحوان هى أسوؤهن .. ما إن تتكلم واحدة حتى تتكلمن جميعًا .. »

سألتها (أليس) :

ـ « كيف تتكلمن جميعًا بهذا الصوت الجميل ؟ لقد كنت فى حدائق كثيرة ولم أر قط زهرة تتكلم .. »

ـ « تحسسى الأرض .. »

مدت (أليس) يدها وتحسست الأرض وقالت :

ـ « هى صلبة جدًا ، لكنى لا أعرف علاقة هذا بالكلام .. »

ـ « فى معظم الحدائق تكون الأرض ناعمة جدًا بحيث تغرق الأزهار فى نعاس عميق .. »

ـ « لم أفكر فى هذا قط .. »

ـ « رأيى أنك لا تفكرين أبدًا ! »

وقالت زهرة بنفسج :

ـ « لم أر قط شخصًا يبدو بهذا الغباء ! »

فضلت (أليس) أن تتحاشى الرد على هذه الإهانة وسألت :

ـ « هل من أناس آخرين فى الحديقة سواى ؟ »

ـ « هناك زهرة تشبهك نوعًا ، لكنها أكثر احمرارًا وبتَلاتها أقصر .. بتلاتها متلاصقة كزهرة الداليا .. »

ـ « وهل تأتى هنا ؟ »

ـ « أخشى أنك ستقابلينها حالاً .. إنها شخصية شائكة ! »

هنا قالت زهرة العايق :

ـ « إنها قادمة .. أسمع خطواتها فوق الحصى! »

التفتت (أليس) بسرعة فوجدت أن القادمة هى ملكة الأحمر .. لقد كبرت كثيرًا عما كانت عند المدفأة .. إنها الآن أطول من (أليس) ذاتها !

قالت (أليس) :

ـ « سأذهب لأتكلم معها .. »

لأنها كانت مستمتعة بالكلام مع الأزهار ، لكنها وجدت أن الكلام مع ملكة سيكون أفضل وأكثر رقيًا ..

اندفعت نحو الملكة ولدهشتها الشديدة وجدت أنها عند باب البيت من جديد .. فكرت قليلاً ثم بدأت تمشى بظهرها !

نجحت الحيلة بشكل باهر ... لقد وجدت نفسها امام الملكة وأمام التل الذى حاولت كثيرًا الوصول إليه من قبل ..

سألتها الملكة :

ـ « من أين أنت ؟ إلى أين تذهبين ؟ انظرى لأعلى .. تكلمى بلطف .. ولا تعبثى بأصابعك .. »

أخبرتها (أليس) بأدب أنها ضلت طريقها ، فقالت الملكة :

ـ « طريقك ؟ لا أفهم ما تقصدين .. كل الطرق هنا ملكى .. ماذا أتى بك هنا ؟ »

ونظرت إلى ساعتها وقالت :

ـ « أمامك دقيقة للرد .. افتحى فمك قليلاً عندما تتكلمين ، ولا تنسى استعمال لفظة (مولاتى) .. »

قالت (أليس) :

ـ « كنت أريد أن أرى هذه الحديقة يا مولاتى .. »

ـ « عندما تقولين (حديقة) أقول لك إننى رأيت حدائق تعد هذه بجانبها دَغَلاً .. »

ـ « وأردت أن أرتقى هذا التل .. »

ـ « عندما تقولين (تل) أقول لك إننى رأيت تلالاً يعد هذا بجانبها واديًا .. »

تجرأت (أليس) وقالت :

ـ « لكن هذا كلام فارغ .. »

ـ « عندما تقولين (كلام فارغ) أقول لك إننى سمعت كلامًا فارغًا يعد بجواره هذا الكلام قاموسًا علميًا .. »

صعدت (أليس) مع الملكة إلى قمة التل ، وألقت نظرة فهالها أن ترى أن الأرض مقسمة إلى مربعات صغيرة كأن هذه رقعة شِطْرَنج عملاقة ..

هتفت فى حماس :

ـ « كأن العالم كله مقسم إلى رقعة شطرنج !! ما أجمل هذا ! ليتنى كنت قطعة من هذا الشطرنج .. لا يهم إن كنت بيدقًا لا قيمة له ، لكنى بالطبع أُفَضِّل أن أكون ملكة .. »

قالت لها الملكة :

ـ « فى وسعك أن تكونى بيدق الملكة البيضاء بما أن (ليلى) أصغر من أن تلعب هذا الدور .. ستبدئين من الصف الثانى ، لكن إذا وصلت الصف الثامن ستكونين ملكة .. »

لا تعرف (أليس) كيف أخذت الملكة بيدها ، ولا كيف راحتا تركضان نحو الرقعة .. فقط كانت تتنفس بصعوبة . الغريب أنه مع كل هذا الركض لم يتبدل أى من معالم المكان ، وخطر لأليس أن الأشجار تركض معهما ..

فى النهاية وجدت (أليس) نفسها جالسة على الأرض متقطعة الأنفاس .. ما أثار دهشتها أن الشجرة التى تجلس تحتها هى ذات الشجرة التى كانت هنالك عندما بدأت الركض .. قالت للملكة :

ـ « فى بلدى تتوقعين أن تذهبى إلى مكان ما إذا جريت بسرعة ! »

قالت الملكة :

ـ « لأنكم تجرون ببطء .. هنا تجرين بأقصى سرعة كى تبقى حيث أنت ! كى تتحركى يجب أن تضاعفى السرعة .. »

ثم بدأت تقيس الأرض وتثبت مشابك تحدد بها الأماكن ، وقالت لأليس :

ـ « أول حركة لك تتحركين مربعين .. ثم تصلين إلى المربع الرابع .. هذا المربع يخص (تويدل دى) و(تويدل دام) .. المربع الخامس ماء .. السادس يخص (هامتى دامتى) .. المربع السابع غابة لكن أحد الفرسان سيقودك .. المربع الثامن معنى أن نصير ملكتين .. »

فما إن قالت هذه الكلمات حتى وجدت (أليس) أنها اختفت من المكان .. لا تعرف هل طارت فى الهواء أم سبحت فى الماء .. فقط عرفت أنها بيدق وعليها التصرف على هذا الأساس ..

* * *

الفصل الثالث

تويدل دام وتويدل دى

كانت قد بلغت الغابة الظليلة فقالت لنفسها :

« على الأقل بعد كل هذا الجرى ، من المريح أن أدخل الـ ... ماذا ؟ »

لدهشتها لم تستطع أن تجد الكلمة ..

ـ « أن أدخل تحت الـ .. تحت الـ .. »

وقفت صامتة للحظات تفكر ، وقالت لنفسها :

ـ « حرف (ل) .. أنا متأكدة من أن اسمها يبدأ بحرف (ل) ! »

هنا جاء ظبى صغير ونظر إلى أليس بعينيه اللطيفتين الواسعتين ولم يبد عليه أدنى رعب .. دنا منها فمدت يدها لتلمسه لكنه تراجع وإن ظل ينظر إليها ..

سألها بصوت رقيق :

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ ليتنى أعرف ! سألته بدورها : ـ « هل تعرف أنت اسمك ؟ »

ـ « سأفكر وأخبرك فيما بعد .. »

مَشَتْ معه وهى تلف ذراعهـا حول رقبته ، حتى خرجا من الغابة وبلغا رقعة خاليـة من الأشجار ، هنـا وجدتـه يصيح وقد وثب فى الهواء :

ـ « أنا ظبى صغير ! وأنت طفلة آدمية ! »

قالها ثم أطلق سيقانه للريح مبتعدًا ..

كانت تنظر إليه فى تأثر لأنها فقدته بهذه السرعة ، لكنها قالت لنفسها :

ـ « على الأقل أعرف اسمى الآن .. (أليس) ! لن أنساه .. والآن .. أى طريق أتبع ؟ »

لم يكن الأمر عسيرًا لأن هناك إشارتين تشيران إلى ذات الطريـق عبر الغابة .. وقد قررت أن تختار عندما يتفرع الطريق .. لكن هذا لم يحدث .. لأنـه فـى كل نقطـة يتفرع فيهـا الطريق كـانت الإشارتان تشيران إلى الاتجاهين ذاتهمـا وقد كتب علـى واحـدة (إلى منزل تويدل دام) والأخرى (إلى منزل تويدل دى) ..

قالت(أليس) لنفسها :

ـ « يبدو لى أنهما يقيمـان فـى البيت ذاتـه .. لكنـى لـن أطيل المكوث .. سأسألهما فقط عن طريق الوصول إلى المربع الثـامن قبل أن يحل الظلام .. »

هكذا مشت وهـى تكلم نفسـها .. فـى النهايـة قـابلت رجليـن بَدِينَيْن .. وجدت نفسها مرغمة على أن تنظر إليهمـا ممعنـة .. فلم يعد لديها شك فى أنهما (تويدل دام وتويدل دى) ..

* * *

كانا يقفان تحت شجرة وذراع كل منهما حول عنق الآخر .. وقد عرفت على الفور كليهما ، لأن الأول كان يحمل كلمة (دام) مزخرفة على ياقته ، والآخر كـان يحمـل (دى) ... وقـدرت أن كليهما يحمل كلمة (تويدل) على خلفية الياقة ..

كانا يقفان صامتين حتى إنها لـم تعد تعرف إن كانـا حَيَّيْنِ .. هنا سمعت من يحمل اسم (دام) يقول :

ـ « لو كنت تحسبيننا من الشمع ، فعليك أن تدفعـى .. لا أحد ينظر إلى تماثيل الشمع من دون أن يدفع .. »

وقال الآخر :

ـ « بالعكس .. لو كنت تحسبيننا حيين فعليك أن تتكلمى ... »

قالت فى حرج :

ـ « أنا آسفة .. »

لكن كلمات أغنية سمعتها قديمًا راحت تتردد فى ذهنها ..

تويدل دام وتويدل دى ..

ناويين على خناقة شديدة ..

تويدل دى بوظ لصاحبه ..

لعبته الجديدة ..

هنا غراب كبير ومخيف ..

اسود زى الزفت تمام ..

حط عليهم . خافوا وجريوا ..

والعركة نسيوها كمان ..

ثم سألتهما :

ـ « كنت أسأل عن أفضل طريقة للخروج من الدغل . إن الليل يقترب .. »

لكنهما ظلا صامتين .. كأنهما تلميذا مدرسة بدينان .. ثم قال تويدل دام :

ـ « عندما تزورين أحدًا فعليك أولاً أن تقولى : كيف الحال ؟ ثم تصافحى صاحب البيت .. »

واحتضن الأخوان بعضهما ومد كل منهما يده الحُرَّة ليصافحها .. لم تدر (أليس) بأية يد تبدأ ، فمدت كلتا يديها تصافحهما معًا .. فى اللحظة التالية بدأ الجميع فى الرقص فى دائرة .. ووجدت نفسها تغنى أغنية لم تكن تعرفها من قبل ، هى : أنا أرقص حول شجرة التوت ..

لكن الأخوين كانا بدينين ، ولم يقدرا على الاستمرار فتوقفا فجأة كما بدءا فجأة .. وسألها تويدل دى لاهثًا :

ـ « هل تحبين الشعر ؟ »

ـ « بعض الشعر . لكن .. أرجوكما أن تخبرانى بطريقة الخروج من الدغل .. »

استدار لأخيه وسأله :

ـ « هل أكرر لها ؟؟ قصيدة (كلب البحر والنجار) هى الأطول .. »

واحتضن أخاه فى حرارة وبدأ ينشد :

ـ « كانت الشمس ساطعة و ... »

قاطعته(أليس) صائحة :

ـ « لو كانت طويلة ، فهل تمانع أن تخبرنى بالطريق أولاً ؟ »

ابتسم برقة وقال :

ـ « كانت الشمس ساطعة .. تشرق بأقصى قوتها ..

تغمر الموج بالضوء الجميل ..

وكان هذا غريبًا .. لأننا كنا فى منتصف الليل ..

كان القمر عابسًا لأن الشمس لا مكان لها هنا ..

قلة ذوق من الشمس .. أن تأتى لتضايقنى أنا ..

البحر كان مبتلاً والرمال جافة كالرمال

لا سحابة فى السماء .. لأنه لا سحب فى السماء ..

لا طيور تطير فى السماء . لأنه لا طيور تطير فى السماء ..»

استمر فى تلاوة القصيدة الطويلة جدًا عندما سمعت (أليس) من الدغل المجاور صوتًا كالهدير .. كأنه محرك بخارى .. . أصابها الذعر لأنها اعتقدت أن هذا أسد يزأر .. وسألت :

ـ « هل هذا أسد ؟ »

قال (تويدل دى) :

ـ « بل هو ملك الأحمر يغط فى نومه .. تعالى لتريه .. »

وأخذها كل واحد منهما من يده نحو الدغل .. وقال (تويدل دام) :

ـ « أليس منظره جميلاً ؟ »

كان يضع طرطور نوم أحمر طويلاً وكان يرقد ككومة ويغط بصوت عال .. قالت(أليس) :

ـ « سوف يصيبه البرد من النوم فوق العشب المبتل .. »

قال تويدل دى :

ـ « إنه يحلم .. وهل تعرفين ما يحلم به ؟ »

ـ « مستحيل أن أخمن .. »

ـ « يحلم بك ! وهل تعرفين ما يحدث لو كف عن الحلم ؟ »

ـ « لا أدرى .. »

ـ « لن تكونى ! أنت مجرد شىء فى حلمه ! لو استيقظ لاختفيت أنت كأنك شمعة ! »

ـ « وماذا عنكما أنتما ؟ »

ـ « نفس الشىء !!! »

صاحت (أليس) :

ـ « لكنى حقيقية ولست حلمًا ! »

ـ « لن تجعلى من نفسك حقيقة بالصراخ .. »

قالت والدموع تبلل عينيها :

ـ « لو لم أكن حقيقية لما كان بوسعى الصراخ والبكاء .. »

ـ « آمل أنك لا تحسبين هذه الدموع حقيقية .. »

هنا توقف عن الكلام ، إذ رأى جوار شجرة شيئًا أبيض صغيرًا .. دقق النظر فإذا هى (شخشيخة) أطفال .. هنا بدأ فى الصراخ وراح يضرب الأرض بقدمه :

ـ « كنت أعرف هذا !! لقد تحطمت ! »

ونظر لائمًا إلى أخيه ، وجلس على الأرض باكيًا ، وتوارى تحت مظلته ..

جلست (أليس) جواره ووضعت يدها على ذراعه وقالت :

ـ « لا يجب أن تبكى هكذا من أجل شخشيخة قديمة .. »

صاح تويدل دام :

ـ « لكنها ليست قديمة .. ابتعتها أمس .. يا شخشيختى الجديدة الجميلة ! »

فى هذا الوقت كان أخوه منهمكًا فى محاولة طى المظلة وهو داخلها .. كان هذا شبه مستحيل واستغرق وقتًا كبيرًا ، وفى النهاية تمكن من أن يطويها بحيث لم يبق إلا رأسه ، حتى خطر لأليس أنه يشبه السمكة .

قال أخوه :

ـ « أعتقد أنك موافق على العراك ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

وعاد الأخوان من الغابة متأهبين بقطع لا علاقة بينها من مفارش المناضد والسجاجيد وأغطية الأطباق .. وراحت (أليس) تعاونهما فى ارتداء هذه الأشياء حتى صارا أقرب إلى حزمتين من الثياب القديمة ..

راح تويدل دى يربط خوذته ـ التى كانت أقرب إلى سلطانية حساء :

ـ « أخطر شىء يمكن أن يحدث للمرء فى القتال هو أن يطير رأسه .. أنا فى العادة شجاع جدًا لكنى اليوم أشعر بصداع .. »

قال أخوه :

ـ « وأنا عندى ألم أسنان .. أنا أسوأ منك .. »

قالت (أليس) وقد وجدتها فرصة مناسبة للسلام :

ـ « إذن نؤجل القتال ليوم آخر .. »

ـ « لابد من العراك .. يمكن أن نتعارك حتى السادسة مساء ثم نتناول العشاء .. إن الظلام قد حل .. »

كان الظلام يزحف بسرعة فى الواقع حتى إن (أليس) حسبت هناك عاصفة رعدية قادمة .. وقالت :

ـ « الظلام آتٍ وأشعر أن له جناحين ! »

ـ « إنه الغراب ! »

كذا صاح الأخوان وسارعا بالفرار مذعورين ..

هرعت(أليس) تتوارى فى الدغل بين الأشجار ، وقدرت أن حجم الغراب الكبير سيمنعه من الوصول إليها ..

* * *

الفصل الرابع

هامتى دامتى

وجدت (أليس) شالاً فى الدغل الذى توارت فيه ، فراحت تنظر حولها بحثًا عن صاحبه ..

هنا رأت ملكة الأبيض تندفع نحوها وقد فتحت ذراعيها . وقد بدت عليها اللهفة .. فقالت :

ـ « أنا مسرورة لأننى كنت فى الطريق .. لقد وجدته لك .. »

نظرت إليها الملكة فى رعب ولم تعلق .. فقط راحت تردد لنفسها بلا انقطاع عبارة تشبه (خبز وزبد) .. سألتها (أليس) فى تهذيب :

ـ « هل أنا أخاطب ملكة الأبيض ؟ »

ـ « نعم .. لكنى لا أريد أن تخطبينى .. »

لم تجد (أليس) جدوى من الجدل وتصحيح الكلام .. فسألت الملكة :

ـ « هل أضع لك الشال ؟ إن شعرك بحاجة إلى التمشيط .. سوف أنتزع المشط الذى تكسر فى خصلاتك .. أعتقد أنه ربما كان من الأفضل لو ظفرت بوصيفة تُعنَى بثيابك .. »

ـ « سوف يسرنى أن آخذك لهذا الغرض ..أجرك بنسان كل أسبوع ومربى كل يومين .. »

ـ « شكرًا .. أنا لا احب المربى .. على الأقل ليس اليوم .. »

ـ « ليست لك مربى اليوم .. القانون يقضى بأن تصرف لك المربى أمس وغدًا .. لا مربى اليوم .. »

ـ « لكن لابد من لحظة تكون فيها المربى اليوم .. »

ـ « لا .. لا .. القانون يقول إن المربى (كل يومين) .. و(اليوم) ليس (كل يومين) .. »

ـ « فعلاً لا أفهم .. »

ـ « هذا بسبب اضطرارك للحياة بالعكس .. هذا يسبب دوارًا فى البداية .. هنا سوف تجدين كل شىء يعمل بالعكس .. لهذا مزية مهمة هى أن ذاكرتك تعمل فى الاتجاهين ! »

ـ « ذاكرتى تعمل فى اتجاه واحد .. لم أجرب قط أن أتذكر شيئًا لم يحدث بعد ! »

ـ « إنها لذاكرة بائسة تلك التى ترغمك على تذكر الأشياء بعد وقوعها ، مثلاً رسول الملك فى السجن الآن .. حكم السجن سيصدر الأربعاء القادم .. وطبعًا جريمته هى آخر شىء .. سوف تحدث فيما بعد ! »

ـ « وماذا لو لم يرتكب جريمة ؟ »

ـ « سيكون هذا رائعًا .. ألا ترين هذا ؟ »

ـ « وماذا عن العقاب ؟ »

ـ « ألا تُعاقَبين أنت فى كل الأحوال ؟ سيكون الأجمل أن تُعاقبى لكنك لا ترتكبين الأشياء التى عوقبت من أجلها .. »

وأخرجت قطعة من البلاستر اللاصق وراحت تلفه حول إصبعها وهى تصرخ باكية .. كان الدم ينزف من إصبُعها فتعالى صراخها كأنه بوق بخارى .. فسألتها (أليس) وهى تسد أذنيها :

ـ « هل جرحت إصبعك ؟ »

ـ « لم أجرحه بعد .. لكن هذا سوف يحدث .. عندما أثبت الشال على كتفى سوف ينفتح (البروش) .. »

وبالفعل قامت بتثبيت البروش فجرحت إصبعها . التفتت إلى (أليس) وقالت فى انتصار :

ـ « هل رأيت ؟ »

ـ « ولماذا لا تصرخين الآن ؟ »

ـ « لأننى صرخت من قبل ، فما جدوى التكرار ؟ »

هنا كان الضوء قد عاد .. يبدو أن الغراب قد رحل .. وسُرَّت (أليس) لهذا ..

سألت الملكة :

ـ « هل يدك أفضل ؟ »

ـ « نعم .. أفضل بكثير .. بكثيييير .. إر إرررررر إرررر .. »

نظرت (أليس) إلى الملكة فى دهشة فوجدت أنها ملفوفة بالصوف .. لم تفهم ما يحدث .. هل هذه فعلاً فعلاً نعجة ؟ هل صارت تقف فى متجر قديم وأمامها على الجهة الأخرى من الكاونتر نعجة ؟ نعجة تغزل بإبرتىْ حياكة وتسألها :

ـ « ماذا تريدين شراءه ؟ »

قالت (أليس) :

ـ « لا أعرف .. لو سمحت لى بأن أنظرحولى أولاً .. »

لاحظت ظاهرة عجيبة هى أنها كلما نظرت إلى رف وركزت عليه صار خاليًا ، بينما تزدحم الرفوف الأخرى !

كان هناك شيء ضخم أحمر يبدو أقرب إلى دمية ، لكنها لم تستطع معرفة كُنهِه لأنه كان دومًا فوق أو تحت الرف الذى تثبت عينيها عليه ..

سألتها (أليس) :

ـ « أريد شراء بيضة .. كم ثمنها عندكم ؟ »

ـ « خمسة بنسات لواحدة .. بنسان لاثنتين .. »

ـ « هل تعنين أن اثنتين أرخص من واحدة ؟ »

قالت النعجة :

ـ « فقط عليك أن تأكليهما معًا .. »

قالت (أليس) وهى تخرج المال من حقيبتها :

ـ « إذن سآخذ واحدة فقط .. »

أخذت النعجة المال ووضعته فى صندوق ، ثم قالت لأليس :

ـ « أنا لا أعطى البضاعة لزبائن ، بل عليهم أن يأخذوها بأنفسهم .. يمكنك أن تأخذى البيضة من هناك .. »

كانت هناك بيضة على رف .. اتجهت لها (أليس) وهى تتساءل عن سبب هذا التصرف الغريب .. بدا لها أن البيضة تبتعد وتبتعد كلما دنت منها ..

كان المتجر مظلمًا وأثار دهشتها أن هناك مقعدًا ذا جذور فى الأرض ، وأن هناك جدولاً ..

ازدادت البيضة حجمًا أكثر فأكثر .. وصارت أكثر بشرية .. دققت أكثر فوجدت أن لها عينين وفمًا .. كان هذا هو (هامتى دامتى) .. الرجل البيضة .. كان يجلس وقد وضع ساقًا على ساق فوق جدار عال ضيق بحيث إنها لم تفهم كيف يبقى متوازنًا .. رفعت يديها متوقعة أن يسقط فى أية لحظة ، وقالت لنفسها :

ـ « إنه يشبه البيضة فعلاً .. »

قال بصوت خشن :

ـ « إنه لمما يستفز المرء أن يناديه أحدهم ببيضة ! »

ـ « لم أقل إلا إنك تشبه البيضة يا سيدى .. وبعض البيض رائع الجمال .. »

ـ « وبعض الناس عديمو الشعور .. »

لم تشعر للحظة أن هذه محادثة فهو لم يوجه لها الكلام قط .. وقفت ، وقالت لنفسها :

ـ « هامتى دامتى جلس على الجدار

هامتى دامتى سقط سقطة عظيمة ..

كل رجال الملك وكل خيول الملك ..

لن يستطيعوا أن يعيدوه حيث كان .. »

قال لها :

ـ « كفى عن الوقوف والكلام مع نفسك .. بل أخبرينى باسمك ومهنتك .. »

« اسمى (أليس) ... »

قاطعها :

ـ « اسم غبى .. ما معناه ؟ اسمى أنا يدل على شخصيتى ..»

ـ « ألا ترى أنه من الأفضل أن تجلس على الأرض ؟ هذا الجدار ضيق جدًا .. »

ـ « لو سقطت ـ وهذا غير وارد ـ فإن الملك وعدنى .. وعدنى بأن ؟ بأن ... »

ـ « بأن يرسل لك رجاله وخيوله ليعيدوك ؟ »

ـ « كيف لك أن تعرفى هذا ما لم تكونى جاسوسة ؟ »

ـ « أنا آسفة .. لكنه فى الكتب ... »

ـ « نعم .. نعم .. كتب التاريخ تحكى أشياء كهذه .. لابد أن هذا ما تطلقون عليه (تاريخ إنجلترا) .. أنت تقابلين رجلاً قابل الملوك وبرغم هذا هو متواضع .. »

وضحك ضحكة واسعة حتى إنها قالت لنفسها :

ـ « لو اتسعت ضحكته أكثر لالتقى جانبا فمه خلف رأسه ! معنى هذا أن يطير رأسه ! »

قال لها (هامتى دامتى) :

ـ « لكن هذه المحادثة سريعة جدًا .. دعينا نختار موضوعًا آخر .. كم عمرك ؟ »

ـ « سبعة أعوام وستة أشهر .. »

ـ « سن غير مريحة .. كان يجب أن تتوقفى عن النمو فى السابعة .. لكن فات أوان ذلك .. »

ـ « الواحد لا يقدر على السيطرة على نموه .. »

ـ « الواحد لا يقدر ، لكن الاثنين يقدران .. »

قررت أن تغير الموضوع فقالت له :

ـ « ما أجمل الحزام .. أ .. ربطة العنق .. الحزام .... أ .. الذى ترتديه .. »

فكيف لها أن تعرف إن كان هذا الشىء يحيط ببطنه أم عنقه ؟

قال لها فى غيظ :

ـ « من المستفز ألا تعرفى الفارق بين الحزام وربطة العنق .. إنها ربطة عنق أهداها لى الملك فى يوم (لا عيد ميلادى Unbirthday) .. »

ـ « لا أفهم .. ماذا تعنى بـ (لا عيد ميلادى) ؟ »

ـ « الهدية التى تقدمينها لشخص فى يوم ليس عيد ميلاده طبعًا .. هذا يمنحك 364 يومًا فى السنة تتلقين فيها هدايا .. بينما أنت لا تتلقين إلا هدية واحدة فى العام يوم عيد ميلادك .. »

ثم نظر لها متأملاً ، وقال :

ـ « المشكلة هى أن وجهك مثل وجوه الناس جميعًا .. عينان .. أنف فى الوسط .. فم تحته .. لو كانت لك عينان على نفس ناحية الأنف .. أو كان فمك أعلى وجهك لربما جعلك هذا أفضل .. »

ـ « لن يبدو هذا جميلاً .. »

أغمض عينيه ، وقال :

ـ « انتظرى حتى تجربى .. »

وقفت تنتظر أن يواصل الكلام لكنه لم يفعل .. فى النهاية قالت له :

ـ « وداعًا .. »

ثم ابتعدت ..

وقالت لنفسها :

ـ « من بين كل المزعجين الذين .. »

لكنها لم تكمل العبارة لأن صوت تهشم عال دوّى فاهتزت له الغابة كلها ..

الفصل الخامس

الأسد ووحيد القرن

ظهر جنود يركضون مثنى وثلاثًا .. وفى النهاية امتلأت الغابة بهم ..

قالت لنفسها إنها لم تر فى حياتها جنودًا يمشون بهذا الارتباك .. كانوا يدوسون بعضهم ويتعثرون .. ثم جاءت الخيول .. لها أربع أرجل لهذا استطاعت التوازن بشكل أفضل ، لكنها برغم هذا كانت تتعثر وتسقط ..

كانت فوضى عارمة حتى أنها شعرت بسرور لخروجها إلى العراء ، حيث وجدت ملك الأبيض جالسًا على الأرض منهمكًا فى كتابة شىء فى مفكرته .

صاح فى سرور إذ رآها :

ـ « لقد أرسلتهم جميعًا .. 4207 جنود ! لم أرسل كل الخيول لأن اثنين منها مطلوبان فى اللعبة .. هل ترين أحدًا عن بعد ؟ »

ـ « أرى .. لا أحد ! »

قال فى حسد :

ـ « تمنيت لو كانت عندى حدة البصر التى تسمح لى بأن أرى (لا أحد) بهذا الوضوح .. أحب حبيبى بحرف (السين) لأنه (سعيد) .. أكرهه بحرف السين لأنه (سمج) .. أطعمه (ساندوتشات) .. اسمه (سيجا) .. يعيش على (سفح) .. »

هنا وصل أحد رسل الملك وهو متقطع الأنفاس عاجز عن الكلام .. فقط راح وجهه يتقلص بخطورة ..

سأله الملك :

ـ « هل رأيت أحدًا فى الطريق إلى هنا ؟ »

ـ « لا أحد .. »

ـ « أنت محق .. هذه الآنسة رأته كذلك .. ومن الواضح أن (لا أحد) يمشى أبطأ منك .. والآن وقد استرددت أنفاسك هلا قلت لى ماذا يحدث فى المدينة ؟ »

وضع الرسول يده على شكل بوق وقرب فمه من أذن الملك وقال :

ـ « سأهمس به .. »

لكنه بدلاً من أن يهمس صرخ :

ـ « لقد عادا للأمر ثانية !! »

وثب الملك وصرخ :

ـ « هل تسمى هذا همسًا ؟ لقد اهتز جسدى كأن زلزالاً مشى فيه ! لو كررت هذا الفعل لأمرت بأن يطلوك بالزبد ! »

هنا تدخلت (أليس) سائلة :

ـ « من اللذان عادا للأمر ثانية ؟ »

قال الملك :

ـ « الأسد ووحيد القرن طبعًا .. يتشاجران على التاج .. التاج الذى هو ملكى أنا ! تعالى نر هذا .. »

راحوا يركضون نحو المدينة ، وهى متلاحقة الأنفاس .. سألت الملك أثناء الجرى :

ـ « هل الرابح يفوز بالتاج ؟ »

قال الملك :

ـ « بالطبع لا يا عزيزتى .. »

فى النهاية بلغوا المدينة حيث كان هناك زحام عظيم يتوسطه وحيد القرن والأسد يتصارعان .. كانت هناك سحابة غبار كثيفة

حتى إنها لم تستطع معرفة من هو من .. كان الوحشان قد تعبا فجلسا يلتقطان أنفاسهما .. وطلب الملك من تابعه أن يقدم لهما بعض الخبز والكعك ..

فى النهاية نهض وحيد القرن مبتعدًا ويده فى جيبه ، وحيا الملك .. ثم مر بأليس .. هنا توقف واستدار يرمقها وعلى وجهه أعتى علامات الاشمئزاز :

ـ « من .. من هذا ؟ »

قال الرسول :

ـ « هذا طفل وجدناه فى الغابة اليوم .. »

ـ « وحش رائع ! وهل هو حى ؟ »

ـ « يمكنه الكلام .. »

ـ « إذن تكلم أيها الطفل .. »

قالت (أليس) وهى لا تستطيع أن تمنع ابتسامة :

ـ « هل تعرف ؟ كنت أعتقد طيلة حياتى إن وحيد القرن وحش رائع بدوره .. »

جاء الأسد بدوره وكان منهكًا محمر العينين .. فلما رأى (أليس) بدا عليه الاهتمام ، وسأل :

ـ « ما هذا ؟ »

قال وحيد القرن :

ـ « لن تقدر على التخمين .. »

ـ « هل أنت خضر أم معدن أم حيوان ؟ »

ـ « هو وحش فريد من نوعه .. »

وجلس الوحشان يلتهمان الخبز البنى بينما جلس الملك بينهما خائفًا لا يشعر بالراحة ، خاصة وأن عينيهما لم تفارق التاج على رأسه لحظة ..

كانت (أليس) تحاول جاهدة تقطيع كعكة وضعوها أمامها ، فكلما قطعتها بالسكين التأمت الأجزاء ثانية .. قال لها وحيد القرن :

ـ « ليست هذه هى الطريقة المثلى لتقطيع كعكة فى عالم المرآة .. قسميها على الأطباق أولاً ثم اقطعيها بعد ذلك ! »

بدا هذا غريبًا لأليس لكنها فعلته على كل حال ..

هنا دوى صوت الطبول عاليًا يصم الآذان ..

★ ★ ★

الفصل السادس

إنه اختراعى أنـا

جاء فارس يلبس الأحمر القرمزى على ظهر حصان ، وهو يلوح بصولجان عملاق ... ما إن دنا منها حتى توقف الحصان فجأة وطار من فوقه .. سقط على الأرض ، وبرغم هذا قال لها :

ـ « أنت أسيرتى ! »

فى الواقع كانت خائفة عليه أكثر مما هى خائفة منه ، فلما ركب حصانه من جديد واطمأن على السرج أوشك أن يكرر :

ـ « أنت أسير .. »

لولا أن قاطعه صوت آخر .. فالتفتت أليس لترى من عدوها الجديد ..

هذه المرة كان القادم فارسًا أبيض دنا منها وأوقف حصانه كما فعل الأحمر .. هكذا وقف الفارسان يتبادلان النظرات بلا كلام ..

ـ « إنها أسيرتى كما تعلم .. »

ـ « نعم .. لكنى جئت وأنقذتها ! »

ـ « إذن علينا أن نتقاتل من أجلها .. »

قالها الفارس الأحمر وأخذ خوذة من السرج ، لهـا شكل رأس الحصان .. وبدأ الفارسان يتبارزان بعنف حتى إنها توارت خلـف شجرة هربًا من عنف القتال ..

سرعان ما انتهى الفارسان من القتال ، فحيا الفـارس الأحمر خصمه وابتعد بجواده ، بينما عاد لها الفارس الأبيض ، وقال :

ـ « كان نصرًا رائعًا ، أليس كذلك ؟ »

قالت له :

ـ « لا أدرى .. أنا لا أريد أن أكون أسيرة أحدهم .. أريد أن أكون ملكة .. »

ـ « ستكونين متى عبرت الجدول التالى .. مهمتى هى أن أوصلك بسلام إلى نهاية الغابة .. »

ساعدته على نزع خوذته العملاقة ، ولاحظت أنه أغرب فارس رأته فى حياتها .. كانت له عينان واسعتان وشعر مجعد عال . بينما يتدلى على صدره صندوق صغير .. لاحظ نظراتها ، فقال :

ـ « أرى أنك معجبة بهذا الصندوق .. إنه اختراعى أنا .. أحفظ فيه الثياب والشطائر .. أحمله مقلوبا حتى لا تدخله مياه الأمطار .. »

ـ « لكن من الممكن أن تخرج محتوياته كذلك .. ألا تلاحظ أن الغطاء مفتوح ؟ »

بدا عليه الضيق ، وقال :

ـ « لم ألحظ هذا .. إذن لابد أن الأشياء سقطت منه ، ولم يعد للصندوق جدوى .. »

وكاد يلقى بالصندوق ثم بدا أن فكرة خطرت لـه فعلقه على غصن شجرة ، قال لها :

ـ « هل تعرفين لم فعلت هذا ؟ خطر لى أن أتخذه عشًـا للنحل كى أظفر بالعسل .. »

ـ « لكن لديك عش نحل معلقًا بالسرج .. »

ـ « عش نحل ممتاز .. لكن أية نحلة لم تدخلـه قط .. هنـاك فى السرج مصيدة فئران كذلك .. لربمـا كـانت الفئران هـى التى تخيف النحل .. »

ـ « وهل تتوقع أن تجرى الفئران على ظهر الفرس ؟ »

ـ « هذا لم يحدث لكن لـو حدث فأنـا مستعد لـه .. مثلاً هذه الدروع الواقيـة حـول سيقان الفرس مخصصـة كـى تحميـه مـن هجوم أسماك القرش .. هـذا اختراعى أنـا .. الآن هيا بنـا لأن علىّ أن أوصلك لنهاية الدغل .. »

هكذا مشت مـع الفـارس الـذى لـم يكن راكبًا ممتـازًا .. كـان يسقط من على صهوة الحصان باستمرار .. وغالبًا ما كان يسقط ناحيتها ؛ لذا قررت ألا تمشى بجانب الحصان ..

عندما بلغا نهاية الغابة ، قال لها :

ـ « يبدو عليك الحزن ؛ لذا سأغنى لك أغنيـة اسمها (عيون الأسماك) .. »

لم تكن مهتمة على الإطلاق لأنها سمعت الكثير من الشعر فى هذا اليوم ، لكنها تظاهرت بالاهتمام :

ـ « هل هذا هو اسمها ؟ »

قال فى ضيق :

ـ « لا .. أنت لا تفهمين .. هكذا يدعى اسم الأغنيـة .. الاسم هو (الرجل العجوز العجوز) .. »

ـ « إذن كان علىّ أن أسألك : بم تدعى الأغنية نفسها ؟ »

ـ « لا .. هذا شىء مختلف .. الأغنيـة نفسها تدعى (طرق وأساليب) .. »

سألته فى حيرة :

ـ « إذن ما هى الأغنية ؟ »

ـ « نعـم .. كنـت على وشـك أن أقـول هـذا .. الأغنيـة هى (الجلوس على الجدار) .. »

ثم أوقف الجواد وجعل المطر ينهمر على عنقه ، ثم التمع وجهه الأحمق بضحكة بلهاء وراح يوقع اللحن بيـده .. من بين كل ما رأته أليس فى بيت المرايا من غرائب ، فإن هذا كان أغربها وهو عالق بذهنها بعد أعوام .. مشهد الفارس وهو يدندن .. الحصان يحاول التحرر من لجامه .. الشمس الذهبية ..

« حقولك كل حاجة أعرفها ..

أنا شفت راجل عجوز عجوز ..

قاعد على بوابة ..

سألته : إنت مين يا عجوز ؟

كانت إجابته غريبة ..

قال : أنا بصطاد فراشات ..

نايمة وسط الغيطان ..

باعمل منها فطير ..

وأبيع فى السوق كمان ..

كده باكسب أكل عيشى ..

مع إنه مش كتير .. »

عندما فرغ من غناء أغنيته ودعها ووعدها بأنها ستصبح ملكة عما قريب .. ابتعد وهى تراقبه ، وسقط عن فرسه عدة مرات بينما هى تلوح له بالمنديل ...

اجتازت الجدول الأخير فسقطت وسط حوض أزهار جميل .. هنا شعرت بشيء معدنى ثقيل على رأسها ..

ـ « هل يمكن أن يكون قد جاء دون أن أشعر به ؟ »

ورفعت يدها تتحسسه فوجدته كما توقعت ..

كان فوق رأسها تاج ذهبى ..

* * *

الفصل السابع

الملكة أليس

قالت أليس :

ـ « هذا عظيم ! لم أتوقع أن أصير ملكة بهذه السهولة .. مولاتى . سأخبرك بما يعنيه هذا .. »

ونهضت من حيث رقدت فوق العشب لتمشى بوقار محاذرة أن يسقط التاج من فوق رأسها .. لم تشعر بدهشة لرؤية ملكة الأحمر وملكة الأبيض جوارها ..

سألت ملكة الأبيض :

ـ « من فضلك .. هل ... »

قالت الملكة فى حزم :

ـ « لا تتكلمى إلا إذا وجه لك أحد الكلام ! »

كانت أليس مولعة بالجدل ؛ لذا قالت :

ـ « لكن لو أطاع الناس هذه القاعدة ، وظل كل واحد ينتظر أن يبدأ الآخر الكلام ، فلن يقول أحد شيئاً .. »

ـ « سخيف ! على كل حال تذكرى أنك لن تكونى ملكـة مـا لـم تمرى بالاختبار الأخير الذى أرى أنه من الأفضل أن نبدأه حالاً .. »

ثم قالت ملكة الأحمر لملكة الأبيض :

ـ « أنت مدعوة على حفل العشاء الذى تقيمه أليس الليلة .. »

قالت أليس :

ـ « لم أدر أن علىّ أن أقيم حفل عشاء .. لكن مـا دام الأمـر كذلك فعلىّ أن أدعو الضيوف .. »

ـ « نعم .. لكن أخشى أنك لم تتلقى دروسًا كثيرة فى آداب اللياقة .. »

ـ « اللياقة لا تُعلم فى الدروس . الدروس تعلمنا الجمع والطرح .. »

ـ « إذن ما مجموع واحد وواحد وواحد وواحد وواحد وواحـد وواحد ؟ »

ـ « لا أعرف .. لقد فقدت قدرة العد .. »

قالت ملكة الأحمر :

ـ « هى لا تجيد الجمع .. لنر القسمة .. اقسمى رغيفًا بسكين ما الناتج ؟ »

ـ « أعتقد .. »

ـ « النتيجة خبز بالزبد .. تعالى نجرب الطرح .. خذى عظمـة من الكلب .. فماذا يبقى ؟ »

فكرت أليس ، ثم قالت :

ـ « لن تبقى العظمة على مـا أعتقد .. الكلب لـن يبقـى لأنـه سيجرى ورائى ليعضنى .. وأنا لن أبقى كذلك .. »

ـ « إذن لن يبقى شىء ؟ خطأ كالعادة .. أعصاب الكلب ستبقى .. »

ـ « لا أفهم كيف .. »

قالت الملكة فى انتصار :

ـ « سوف يفقد الكلب أعصابه .. ثم يطـاردك .. لهـذا ستبقى أعصابه حيث فقدها .. »

سألتها ملكة الأحمر :

ـ « ليكن .. لنجرب أسئلة أخرى .. كيف يصنع الخبز ؟ »

ـ « نأخذ بعض الدقيق و ... »

ـ « من أين تجمعين الدقيق ؟ »

- « الدقيق لا يجمع .. إنه عبارة عن طحين القمح المزروع فى .. »

- « كم فدانًا من القمح ؟ لابد من الدقة .. تعالى نهوى على وجهها بالمراوح .. لابد أن رأسها سخن بعد كل هذا التفكير .. »

وراحت الملكتان تهويان بالمراوح على وجهها حتى تمنت لو توقفتا .. كان شعرها يطير فى كل اتجاه ..

بعد قليل أصابهما النعاس فطلبتا من أليس أن تغنى لهما أغنية وتعبث فى شعرهما .. وسرعان ما انزلقت الأولى على كتف أليس لتنام بينما تكومت الأخرى فى حجرها ..

قالت أليس لنفسها :

- « لا أعتقد أنه حدث فى التاريخ أن هناك من راح يغنى بملكتين نائمتين فى الوقت ذاته !! لم يحدث فى التاريخ أن وجدت ملكتان فى الوقت ذاته .. »

راح الغطيط يتعالى ويتعالى حتى أنها بدأت تشعر أنه لحن ، وأن له كلمات ..

كانت غارقة فى متابعة الصوت ، حتى أنها لم تدر كيف ولا متى وجدت أنها تقف أمام باب كبير كتب عليه (الملكة أليس) .. كان

هناك جرس على اليمين كتب عليه (جرس الزوار) وجرس على اليسار كتب عليه (جرس الخدم) .. لم تدر أى جرس تدق لأنها ليست ضيفة ولا هى من الخدم ..

فى هذه اللحظة انفتح الباب وظهر مخلوق له منقار طويل ، وقال :

- « لا دخول حتى الأسبوع بعد القادم .. »

ثم أغلق الباب بعنف فى وجهها ..

دقت الباب بعنف أكثر فانفتح ، وسمعت من الداخل صوت تهليل وغناء :

- « املئوا الأقداح بأسرع ما يمكن ..

ضعوا القطط فى الشاى والفئران فى القهوة ..

وحيوا الملكة أليس ثلاث مرات فى ثلاثين ! »

وتصاعد التهليل ، فقالت لنفسها :

- « ثلاثون فى ثلاثة .. يعنى تسعين مرة .. ترى هل هناك من يعد ؟ »

ساد الصمت من جديد ، وتصاعد صوت يقول :

- « املئوا الأقداح بصمغ العسل أو الحبر ..

أو أى شىء آخر سائغ شرابه ..

امزجوا الرمل والتفاح والصوف ..

وحيوا الملكة أليس ثلاث مرات فى ثلاثين ! »

من جديد تصاعد التهليل وهى تجتاز القاعة حيث المائدة الطويلة التى تراص حولها نحو خمسين من الضيوف .. عينات غريبة جداً حتى إنها سرت لأنهم جاءوا من تلقاء أنفسهم فلم تكن لتستطيع دعوة هذا الخليط العجيب .

فى صدر القاعة كانت ثلاثة مقاعد وقد احتلت ملكتا الأبيض والأحمر اثنين منها .. هكذا احتلت هى المقعد الأوسط شاعرة بعدم الراحة ..

قالت ملكة الأحمر وهى تشير إلى طبق حساء أمام (أليس) فيه رُكبة :

ـ « هذا هو المفصل .. أقدم لك المفصل يا أليس .. أيها المفصل .. هذه هى أليس .. »

وجدت أليس المفصل فى طبقها فلم تعرف ما تفعل .. رأته ينحنى لها محييًا فانحنت له ولم تدر أتخاف أم تضحك .. سألت أليس الملكة وهى تمسك بالشوكة والسكين :

ـ « هل تريدين شريحة منه ؟ »

قالت الملكة :

ـ « ليس من التهذيب أن تقطعى بالسكين من تعرفت عليه .. ارفعوا المفصل ! »

هكذا رفعت الطاهية الطبق وجاءت ببودنج برقوق ..

قالت أليس :

ـ « لا تقدمينى للبودنج من فضلك وإلا فلن أظفر بشىء يؤكل على العشاء .. »

وقطعت شريحة منه ، فقال البودنج :

ـ « يا للفظاظة ! لا أعرف ما ستفعلين لو أننى قطعت شريحة منك ! »

هكذا وضعت أدوات الطعام ولم تجسر على المزيد ..

هنا وكما قالت (أليس) فيما بعد بدأت أشياء عجيبة تحدث فى الوقت ذاته ..

استطالت الشموع الموضوعة على المائدة إلى أن بلغت السقف كأنها غابة فوقها ألعاب نارية .. الزجاجات أخذت كل واحدة طبقين كأنهما جناحان ، وشوكتين كأنهما قدمان ، وبدت كل واحدة كالطائر ..

سمعت ضحكة بجوارها فاستدارت .. بدلاً من الملكة وجدت المفصل الذى كانت ستأكله .. وسمعت صوتًا من سلطانية الحساء فنظرت لترى الملكة تضحك ، قبل أن تغطس فى الحساء ...

صاحت أليس :

ـ « لم أعد أتحمل هذا .. »

وشدت شرشف المائدة مرة واحدة ، وسرعان ما تكومت الأطباق والكئوس وأدوات الطعام فى كومة واحدة على الأرض .. واستدارت إلى ملكة الأحمر لتلومها باعتبارها المسئولة عن كل هذه الفوضى ، لكنها لم تكن هناك ..

كانت قد انكمشت إلى حجم دمية صغيرة تجرى هنا وهناك فوق المائدة مطاردة شالها ..

لم تندهش لكثرة ما رأت من غرائب . أمسكت بالدمية فى غل بينما هى موشكة على الوثب فوق زجاجة على المائدة ، وراحت تقول لها :

ـ « سوف أهزك إلى أن تصيرى قطة ! سوف أهزك إلى أن تصيرى قطة ! »

* * *

الفصل الثامن

الهـــزّ

إذ قالت هذا أمسكت بها وراحت تهزها أمامًا وخلفًا بكل قوتها ..

لم تقاوم الملكة على الإطلاق .. فقط ضمر وجهها .. اتسعت عيناها واخضرتا ..

وبدا أنها تصغر وتصغر ..

تسمن وتستدير ..

ثم ......

الفصل التاسع

الصـــــحوة

فإذا بها فى النهاية قطيطة فعلاً ..

الفصل العاشر

من حلم بهـذا

قالت أليس :

ـ « جلالتك يجب ألا تقرَى بصوت عال كهذا .. »

كانت تكلم الملكة باحترام لكن ببعض الحزم . ثم أضافت :

ـ « لقـد أيقظتنى ! يا له مـن حـلم جميـل ! كنت معى فيه يا قطيطة .. »

من العـادات غير المرضية لـدى القطـط أنـك مهمـا قلت لهـن يصدرن قريرًا ..

ـ « لو كن يصدرت قريرًا بمعنـى (نعم) و(مياو) بمعنـى (لا) لكان بوسعنا إجراء حوار .. لكن كيف تتحاور مع شخص لا يستعمل إلا كلمة واحدة ؟ »

زحفت أليس على ركبتيهـا تفتـش بين قطـع الشـطرنج حتـى وجدت ملكةَ الأحمر ، فوضعتها أمام القطيطة ، وقالت للقطيطة :

ـ « اعترفى أنك كنت هذه الملكة ! »

لكن القطة ـ كما حكت أليس لأختها فيما بعد ـ تحاشت النظر للملكة .. بدت غير راغبة فى النظر كأنها خجلى من نفسها ..

نظرت أليس إلى القطيطة البيضاء التى كانت (دينا) منهمكة فى تنظيفها وقدرت أنها كانت الملكة البيضاء .. لهذا كانت غير مهندمة فى الحلم . ولكن من كانت دينا فى الحلم ؟

ـ « هل كنت (هامتى دامتى) فى الحلم يا دينا ؟ أعتقد هذا .. لكن لا تقوليه لصديقاتك بعد لأننى لست متأكدة .. »

ثم تذكرت الحلم ، فقالت للقطيطة :

ـ « أجمل ما كان فى هذا الحلم هو أننى سمعت كمية هائلة من الأشعار كلها تحتوى السمك .. هناك قصيدة (كلب البحر والنجار) .. سوف أحكيها لك وأنت تتناولين الإفطار ، ولسوف تشعرين بأنك تأكلين مأكولات بحرية .. »

« السؤال الحقيقى هو : من الذى حلم الحلم ؟ هل هو أنا أم ملك الأحمر ؟ كان هو جزءًا من حلمى وكنت أنا جزءًا من حلمه .. كنت أنت زوجته يا عزيزتى لذا تعرفين الحقيقة .. »

لكن القطيطة واصلت لعق كفها ولم تعلق بشىء .. ترى ما رأيك أنت ؟

قارب تحت السماء المشمسة ..

يمضى حالمًا للأمام ..

فى ليلة من شهر يوليو ..

ثلاثة أطفال بعيون شغوف وآذان ملهوفة ..

تمنوا سماع قصة بسيطة ..

لقد شحبت تلك السماء ..

وماتت الذكريات والأصداء ..

واغتالت ثلوج الخريف شهر يوليو ..

ما زال خيال أليس يلاحقنى ..

تحت السموات ..

لا تراها عين صاحية أبدًا ..

بينما الصبية فى أرض الأحلام يعيشون ..

والأيام تمضى يحلمون ..

وبينما الصيف يفنى يحلمون ..

للأبد يسبحون مع التيار ..

الحياة ..

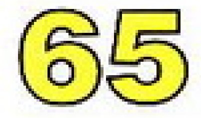
ما قيمتها من دون أحلام ؟

لويس كارول

1872

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية





أليس فى بلاد العجائب

أحيانًا ما تترك موهبة بعض الكتاب لمسة لا تُمحى على الأدب العالمى ، وربما على الوجدان الشعبى ذاته .. بالنسبة لأديب اليوم (لويس كارول) ، يظل الوجدان الغربى يحمل صورة الرجل البيضة الجالس على الجدار ، والزجاجة التى كُتب عليها (اشربينى) ، وحتى بالنسبة لقارئ العربية تظل فكرة اجتياز سطح المرآة لدخول عالم الأحلام باقية للأبد ..

